الكوكب الزاهر، على نسيم حاجر

تأليف
العلّامة النحرير
السيد أحمد بن أبى بكر بن سُميط العلوِى الحسنى
عفى عنه
م

ويليه له
منهج الفضائل، ومعراج الأفاضل

وشرح صيغة صلاة
للعارف بالله على بن محمد الحبشى
عفى عنه

مطبعة المدنى

الطبعـــة الأولى

بالقاهرة

١٣٨١ هـ - ١٩٦١ م

حقوق الطبع محفوظة

بسم الله الرحمن الرحيم

لك الحمد يامن نور قلوب العارفين بأنوار المعرفة واليقين ، وأنار معالم الحق لطالبيه السالكين ، وخص بخصائص القرب أهل العناية والتمكين ، واجتبى إليه من شاء من عباده المفلحين : الذين جعلوا الود الأسنى لهم شعارا ، والمحبة القصوى لهم دثارا ؛ حتى هيمهم الكمال ، وتيمهم الجمال - قوم عبدوا الله بخالص الطوية ، ووقفوا بكمال الآداب على بساط العبودية ، ورشفوا من شراب الاقتراب كؤوساً روية ، فأضحت قلوبهم ملتقى الأنوار والمعارف ، ومرقى الأسرار واللطائف .

ولولاهم بين الأنام لدكدكت جبال وأرض بارتكاب الخطية

نحمده سبحانه وتعالى حمداً يليق بجلاله ، ونشكره شكراً يوجب المزيد من إفضاله . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك الديان . وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله المبعوث بأظهر الأديان . أشرف الحقيقة الإنسانية ومنتقاها ، ومظهر الأسماء العظيمة ومجلاها . اللهم صل وسلم على هذا الرسول الأكمل ، وعلى آله وصحبه السراة الكمل .

(أما بعد) - فقد حصلت مذاكرة بيني وبين من حظه في العلم موفور، وسعيه فيه إن شاء الله مشكور. بقية أولى الفطرة الزكية. والسيرة السويه، أخينا في الله «عبد الله بن محمد بن سالم ابن قاضي باكثير» سلك الله بنا وبه مسالك أهل الرشاد، وأدخلنا وإياه في كنف أهل المحبة والوداد. وذلك فيما انطوت عليه أرجوزة(١) سيدى قطب الإرشاد «عبد الله بن علوى بن محمد الحداد» المحتوية على الإشارات الدقيقة، في سلك عباراتها الرقيقة. فأطلقت جواد الفكر في مضمار تلك الدقائق، وسرحت النظر في رياض تلك الرقائق، ريثما لاح لي من أفق البيان إيماض بارق. ثم عن لي وضع ما ظهر لي في هذه الوريقات، سائلا من المولى ومبتهلا إليه: أن يجعله من الحسنات. ولم أثبت معنى إلا بعد مراجعة كلام القوم في مؤلفاتهم، وإمعان النظر في عباراتهم واصطلاحاتهم، فما وجدته صواباً فهو مستمد من كلامهم، وما وجدته خلافه فهو من فهمي القاصر، وذهني الفاتر. على أن المعاني تتنوع في طي الإشارات، عند نشر العبارات.

وللشيخ عبد الغنى النابلسى نفع الله به:

كلامنا غير ما تعطى العبارات ... من المعانى لنا فيه إشارات
بنفسه قائم وهو المجرد عن ... لفظ ومعنى معاً وهو الإشارات

---

(١) في الأصل: «انطوى على أرجوزة» وما أثبتناه هو الصواب.

بسم الله الرحمن الرحيم

لك الحمد يامن نور قلوب العارفين بأنوار المعرفة واليقين ، وأنار معالم الحق لطالبيه السالكين ، وخص بخصائص القرب أهل العناية والتمكين ، واجتبى إليه من شاء من عباده المفلحين : الذين جعلوا الود الأسنى لهم شعارا ، والمحبة القصوى لهم دثارا ؛ حتى هيمهم الكمال ، وتيمهم الجمال - قوم عبدوا الله بخالص الطوية ، ووقفوا بكمال الآداب على بساط العبودية ، ورشفوا من شراب الاقتراب كؤوساً روية ، فأضحت قلوبهم ملتقى الأنوار والمعارف ، ومرقى الأسرار واللطائف .

ولولاهم بين الأنام لدكدكت جبال وأرض بارتكاب الخطية

نحمده سبحانه وتعالى حمداً يليق بجلاله ، ونشكره شكراً يوجب المزيد من إفضاله . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك الديان . وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله المبعوث بأظهر الأديان . أشرف الحقيقه الإنسانية ومنتقاها ، ومظهر الأسماء العظيمة ومجلاها . اللهم صل وسلم على هذا الرسول الأكمل ، وعلى آله وصحبه السراة الكمل .

هما الكثيفان والسر اللطيف له ... علاقة بهما فيها التفاتات(١)
كالروح يظهر من نفس ومن جسد ... وليس يكشفه إلا العنايات
فلا تظن بأنى إن وصفت حلى ... شىء مرادى به تلك الإحالات
أو إن ذكرت نسيما هب من جهة ... أو نفحة هى قصدى والمرادات
كذلك البرق والأطلال أذكرها ... فى النظم ليست مرادى والحمامات
لا والذى جل عما للعقول بدا ... وللحواس به الأحياء أموات
كلام أهل طريق الله سر هدى ... لا دخل فيه لهم تبديه أبيات
عن المراد له التجريد مخطئة ... منك التآويل فيه والقياسات
لم يدره ذو انتقاد فى تعنته ... لنفسه زعم علم واجتهادات
فيعرب اللفظ للمعنى فيفهمه ... ولا يبين له إلا الضلالات
ومقصد القوم نور فى القلوب سرى ... من القلوب وما فيه التفتات
رموز أسرار قوم تستعد له ... أرواح قوم لهم فى الله راحات
روائح القوم شمتها بصائرهم ... لهم إلى الحق همات ورغبات
لهم نظمنا المعانى يلمحون بها ... غيب الغيوب وتخفيها العبارات

والله المسئول فى إصلاح النية ، وبلوغ الأمنية ، وحسن التوجه إليه قبل حلول المنية ، وهو حسبى ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوه إلا بالله العلى العظيم .

(واعلم) - أن هذه المنظومة من الأراجيز المزدوجة ، التى

---

(١) فى الأصل : « هى » وما أثبتناه هو الصواب .

نظم العلماء منها فنون العلم ، كالخلاصة ، والجوهرة ، والبهجة ، ولهذا البحر (أعنى الرجز) أضرب وأعاريض ، وغير ذلك مما يتعلق بالعروض . وقد ذكر ذلك العروضيون مفصلا . ولا تتزن هذه المنظومة إلا بتسكين بعض الحروف المتحركة .

ولنشرع فى المقصود ، بعون القادر المعبود .

* * *

قال الحبيب نفعنا الله به ، وأذاقنا من حلاوة مشربه :

﴿نسيمَ حاجِرْ يا نسيمَ حاجِرْ هل من خَبَرْ تُشفَي به الخواطرْ﴾
﴿عن جيرة الحيّ الذى تجاوِرْ فالشوق قد أربىَ على السرائرْ﴾

(قوله : نسيم حاجر) منادى مضاف بحذف حرف النداء ، و « حاجر » هو موضع بطريق مكة . والنداء إنما يكون للمميز ؛ أما نداء غيره كالنسيم هنا فعلى سبيل المجاز ، تشبيهاً له بالمميز . (قوله : تشفى به الخواطر) . . جملة نعتية لخبر ؛ فهى فى محل جر . والحى : البطن من بطون العرب ؛ جمعه أحياء . ومفعول « تجاور » ضمير محذوف ؛ والتقدير تجاوره . (وقوله فالشوق) : مبتدأ خبره الجملة الماضوية .

[المعنى] : يانسيم حاجر هل من خبر تشفى بسببه خواطر المحبين ، تبثه عن جيرة الحى الذى تجاوره ؛ لأن الشوق قد أربىَ

وزاد على السرائر(١) فلا يطاق كتمانه ، والشوق والاشتياق كما فى الصحاح : نزاع النفس إلى الشىء ؛ وقد جاء فى السنة « وأسألك النظر إلى وجهك الكريم والشوق إلى لقائك » .

وفى البيت الأول براعة الاستهلال ، لأن فيه إشارة إلى أن المقصود بهذا النظم هو سيد الوجود ، وإمام أهل الشهود . صاحب اللواء المعقود ، والمقام المحمود ، والحوض المورود ، صلى الله وسلم عليه ، وعلى آله الركع السجود - حيث ذكر فيه « حاجر » الذى هو موضع بطريق مكة ، وهذا نمط ما دحيه صلى الله عليه وسلم ، فإنهم يفتتحون غالباً مدائحه صلى الله عليه وسلم بذكر الجهات الحجازيه ، كذى سلم ، وإضم ، ورامة ، وطويلع . ويطرحون التغزل بذكر الغوانى والأغانى ، إذ هو الأليق بهذا المقام الشريف ، والقدر العالى المنيف كما ذكره النابلسى ، ويرشد إليه قوله تعالى : ﴿لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا﴾ وخص الناظم النسيم الحاجرى بالنداء لما ينشأ من ذكر الحبيب عند هبوبه ، لأن المحب دائماً يتفكر فى محاسن محبوبه ، ويتسلى بذكره وبآثاره، كما قال بعضهم :

خيالك فى عينى وذكرك فى فمى ... ومثواك فى قلبى فكيف تغيب

فإذا هب النسيم من جهة موضعه تخيل أنه حمل رائحته إليه ،

---

(١) السرائر : جمع سريرة،وهى السر الذى يكتم ،والمراد موضعهوهو القلب

فوصفه حينئذ بالشذا أو غيره ، فيتخيل عرف(١) المحبوب .

وللناظم نفعنا الله به فى التائية الكبرى :

بعثت لجيران العقيق تحيتى وأودعتها ريح الصباحين هبت

سحيراً وقد مرت على فحركت فؤادى كتحريك الغصون الرطيبة

وأهدت لروحى نفحة عنبرية من الحى فاشتاقت لقرب الأحبه

ألا ترى إلى قول نبى الله يعقوب عليه السلام: ﴿ إنى لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون ﴾ قال المفسرون : أوصلته الصبا من مسيرة ثلاثة أيام أو ثمانية أيام ، وقيل عشرة ، وقيل شهر . ولهذا أكثر الشعراء من ذكر الصبا فى أشعارهم . وهذا ديدن المحبين ، ومنهج المستهترين(٢) وللشيخ عبد الغنى النابلسى نفع الله به فى حلبة هذا المجال ، ومجرى هذا المنوال :

أحن لومض البرق من جهة الحمى وأشتاق إن هبت على النسائم

ثم إن المعنى فى بطن الشاعر ، لكن تظهره قرائن الأحوال ، وهى محكمة فى المجال .

* * *

قال الجيب نفع الله به :

---

(١) العرف ــ بفتح فسكون ــ الرائحة .

(٢) بفتح التائين أى المولعين بالمحبوب.

﴿ وافيت ربعي يا نسيم الأسْحارْ   من بعد ما نامت عيون الأغيارْ ﴾

﴿ عسَى معَكْ لى يا نسيم أخبارْ   عن الحبيب النازح المهاجِرْ ﴾

قوله : (يا نسيم الأسحار) هو بنقل الحركة للوزن ، وكذا قوله : (عيون الأغيار) بنقل الحركة . وكاف الخطاب فى قوله : (معك) ساكنة ، وراء الروى فى الأربعة المواضع أيضا ساكنة للوزن . والربع : منزل القوم . ووافى فعل ماض بمعنى أتى . والأسحار: جمع سحر ، وهو قبيل الصبح . والأغيار : جمع غير ، وهى أحداث الدهر وأحواله عند أهل اللغة(١) . وأما عند أهل الله فمعناها ـ وهو المراد هنا ـ ظلمات تحدث فى القلب ، وتحول بينه وبين شهود المولى والحضور معه . وسببها غالباً الأوصاف المذمومة القائمة بالعبد ، فإذا زالت وحل محلها الأوصاف المحمودة أشرق القلب . وأصل هذا الإشراق من نور الإيمان . وإشراق كل قلب بحسب قوة الإيمان وضعفه ، إذ هو عند أهل السنة والجماعة يزيد وينقص بكثرة الطاعات ونقصانها ، والدليل على ذلك قوله تعالى : ﴿ وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً ﴾ وهو ظاهر ، إذ هو تصديق القلب ، وليس تصديق المقلد كتصديق العارف بالدليل ،

---

(١) فى لسان العرب : « الأغيار » جمع غير (بفتح أوله) بمعنى السوى . ويطلق الغير اسما على التغير والتحول . والغير (بكسر ففتح) اسم من تغير الحال ، أو جمع غيرة . وغير الدهر : أحواله المتغيرة . فتأمل عبارة الشارح .

وهو ليس كتصديق المراقب ، وهو ليس كتصديق المشاهد ، وهو ليس كتصديق المستغرق الذى لا يشاهد إلا الله .

وهذا فى غير الأنبياء ، وأما هم فيزيد إيمانهم ولا ينقص .

وللنور المذكور علامة ، وهى كما فى الحديث : التجافى عن دار الغرور ، والإنابة إلى دار الخلود .

وفى البيت استعارة مكنية تخييلية ترشيحية ، حيث شبه الأغيار برقباء ذوى عيون بجامع القطع فى كل فإنهما قاطعان ، أعنى الأغيار والرقباء عن بلوغ المآرب . وأثبت لهذه الأغيار عيوناً على سبيل التخييل، وذكر النوم ترشيحا ،هذا على مذهب السكاكى. وأما على مذهب القوم : فالاستعارة هنا تبعية تصريحية كما يفهم ذلك من له إلمام بفن البيان .

ثم إن أهل هذا المقام قد يكنون بالنسيم عما تحمله الروح من العلوم والمعارف الإلهية والحقائق الربانية ، كما يفهم ذلك من كلام النابلسى ، ولعل ذلك هو المراد هنا .

ثم إن الناظم نفع الله به خص السحر ، لأنه وقت التجليات الإلهية للمؤمنين ، والفتح الربانى على السالكين . وصرح بعضهم أنه كناية عن أوائلها ، وفى هذا الوقت تستجاب الدعوات ، وتنزل البركات لمن وفقه الله من أهل الرغبات . وإنما كان هذا الوقت مخصوصا بما ذكر لأنه وقت غفلة واستغراق نوم ولذة ، ومفارقة

تلك اللذة تصعب سيما على أهل الرفاهية . فمن آثر القيام لمناجاته دل على خلوص نيته ، وصحة رغبته فيما عند ربه ، فكان حقيقاً بالإجابة . وتخلف الإجابة فى البعض إما لخلل فى الداعى أو فى الدعاء . قال بعض العارفين : ما من ليلة إلا وينزل من السماء فى الثلث الأخير فتوح ربانى ، فيلتقطه أهل التسليم ، ثم أهل التفويض ثم تقع الإفاضة من هؤلاء على أصحاب الدوائر العلية أقطاب الأفلاك الكلية ، ثم تقع منهم على الحفظة والنواب ، ثم منهم على المسلكين والصالحين والعلماء العاملين ممن حضر الباب ، فإن الهدية لمن حضر .. قال: وأما النائمون فى الثلث الأخير فنصيبهم عند أحد الرجال الخمس (يعنى رجال الصلوات الخمس) المفيضين على أهلها إمدادها ، والموكل بصلاة الصبح يأخذ لكل من غاب نصيبه ويؤديه له عند صلاة الصبح ، إما قبل فراغه منها أو معه . ومن تخلف عن اليقظة عند صلاة الصبح أعطى نصيبه فى أسبابه الدنيوية إذا رضى بإقامة الله له فيها ، انتهى من شرح ورد السحر للعلامة عمر الشبراوى . وبالجملة ـ فقيام الليل من أقرب الوسائل إلى حصول المآمل . ومن جملة أدوية القلب الخمسة التى نظمها بعضهم(١) بقوله :

دواء قلبك خمس عند قسوته ... فدُم عليها تفُز بالخير والظفر
خلاء بطن وقرآنٌ تَدَبُّره ... كذا تضرع باك ساحة السحر

---

(١) هو الإمام النووى؛ كما فى شرح تائية السلوك للشمرنوبى .

كذا قيامك جنح الليل أوسطه   وأن تجالس أهل الخير والخبر

وإنما كان قيام الليل من الأدوية النافعة للقلب لما تقرر ، ولأنه دأب الصالحين ، وقد أمر الله نبيه صلوات الله وسلامه عليه بذلك فقال تعالى : ﴿ يأيها المزمل قم الليل إلا قليلا ﴾ والمراد - كما قاله المفسرون - : قم للصلاة والعبادة ، وإنما كان التضرع فى السحر من الأدوية لما تقدم أنه وقت التجليات ، ولأنه وقت إجابة للدعاء كما تقدم . وبالقرآن ينشرح الصدر للإيمان ، ويستنير الباطن مع مراعاة الآداب ، ويحصل من الفضائل والفوائد الدنيوية والأخروية ما لا يحصر إذا كان فى هذا الوقت . وقد حصل لكثير من أهل النور فتوح بسبب التلاوة فى هذا الوقت مع الإخلاص . وفى خلاء البطن راحة القلب ، لا سيما إذا اقترن بذلك غذاء الروح الذى هو الذكر . ومن فوائده خفة البدن للعبادات ، وفى الحديث «الجوع مخ العبادة»(١) ووردت فيه أخبار وأحاديث، وأما مجالسة الصالحين فإنها تورث الاقتداء بهم فى الأقوال والأفعال والأحوال وبها يستفيد الإنسان ويزداد صلاحا ، إذ المرء على دين خليله كما فى الخبر . فالصالحون : هم القوم الكرام الذين لا يشقى جليسهم ولا يضام . وفى معنى مجالستهم مطالعة الكتب المؤلفة فى سيرهم المرضية المشتملة على مزاياهم ، وإكثار النظر فى مؤلفاتهم المعربة

---

(١) كذا بالأصل؛ ولا نعرفه حديثا ، والوارد : « الدعاء مخ العبادة » وفى الإحياء : حديث « قلة الطعام هى العبادة » اهـ .

عن علومهم . ولقد أجاد سيدنا الناظم نفع الله به حيث قال في منظومته الرائية :

إذا فاتنى قُرب الأحبة واللقا ... فنى ذكرهم أُنس لوحشة خاطرى

فإن أحاديث الأحبة مَرهَم ... لقلبى من الداء العضال المخامر (١)

(قوله : عن الحبيب) المراد به سيد الأولين والآخرين ، وحبيب رب العالمين ، خاتم النبيين صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين . وقد اختص صلى الله عليه وسلم على ألسنة المسلمين « بحبيب الله » بحيث لا ينصرف هذا الاسم إلى غيره عند الإطلاق فى كلام أهل الإشارة ، إذ يجب أن يكون حبيبا عقلا ونقلا ، فتسميته به على وجه استحقاقه لمدلوله . ووجوب محبته مما لا يحتاج إلى إقامة دليل ، وفى الحديث : « أحبوا الله لما يغذوكم من نعمه ، وأحبونى لحب الله » وفى الخبر المشهور : « ألا وأنا حبيب الله ولا فخر » ومختار أهل السنة والجماعة أن أسماءه صلى الله عليه وسلم توقيفية ، أى تتوقف على ورودها فى الكتاب أو السنة .

قال العلماء : إن ظاهر الخبر المذكور يدل على أن المحبة أتم من الخلة ، لأن سياق الفضائل التى أوتيها صلى الله عليه وسلم يدل على أن كل ما ذكر له أتم فضلا من كل ما ذكر لغيره . وقد اختص بالمحبة كما اشتهر إبراهيم عليه السلام بالخلة ؛ فدل على أن

---

(١) فى الديوان البيت الأول هنا مؤخر عن الثانى وبينهما بيت ؛ فليراجع .

المحبة أفضل ، لأن صاحبها أفضـــل . والفرق بين الحبيب والخليل – كما قال النيسابورى – : أن الخليل هو الذى امتحنه الله ثم أحبه ، والحبيب الذى أحبه الله ابتداء تفضلا ، والخليل الذى جعل ما يملكه فداء خليله ، والحبيب الذى جعل المولى مملكته فداءه ، وبهذا المعنى أيضا يكون الحبيب أفضل من الخليل ، قال البرعى رحمه الله :

إذا ذكر الخليل فذا حبيب عليه الله فى التوراة أثنى

وقال البوصيرى فى لاميته :

أعلى المراتب عند الله رتبته واعلم فما موضع المحبوب مجهول

وهذا الاسم (أعنى حبيبا) على وزن فعيل بمعنى فاعل ، ويجىء بمعنى مفعول ، ويصلح المعنيان فيه هنا ، فعلى الأول هو ، صلى الله عليه وسلم محب لربه ولأوليائه ، وعلى الثانى محبوب لربه ولأوليائه .

(قوله : النازح المهاجر) هما نعتان للحبيب ، أى الذى هاجر من مكة إلى المدينة المنورة ودفن بها ، وقد هاجر إليها أصحابه كما هاجر ، رضى الله تعالى عنهم .

* * *

قال الحبيب نفع الله به :

﴿حبّ الأحِبَّهْ فى الفؤادِ خَيَّم　　لا، بل جرى منّي مجارىَ الدَّمْ﴾
﴿وكلما بَرْقُ الحِمَى تبسَّمْ　　فاضت دموعُ العينِ فى المحاجرْ﴾

قوله : (الأحبه) بتشديد الباء وبالهاء لا بالتاء لأجل النظم ، وميم الروى ساكنة ، وكذا الراء فى (المحاجر) . وقصده رضى الله عنه إخباره بصدق حبه للأحبة حتى كأنه خيم فى الفؤاد لشدة تمكنه وثبوته . وللأديب أبى بكر بن حجة الحموى فى مدحه صلى الله عليه وسلم مايقرب من هذا المعنى ، أو هو بعينه حيث قال :

فياعرب الوادى المنيع حجابه　　وأعنى به قلبى الذى فيه خيموا

قوله (لا بل جرى منى مجارى الدم) هو بنصب الياء فى (مجارى الدم) والمعنى : جرى حب الأحبة فى المجرى الذى يجرى فيه الدم لشدة ثبوته ، فكأنه امتزج بالأعضاء ، وسرى فيها سريان الماء فى العود الأخضر ، وهذا هو الحب الجبلى الذى لا يحصل بتكلف . وإلى هذا المعنى أشار ابن الفارض قدس الله سره فقال :

جرى حبها مجرى دمى فى مفاصلى　　فأصبح لى عن كل شىء بها شغل

قوله : (وكلما برق الحمى تبسم) المراد بالحمى : حمى المحبوب ، أى كلما مر البرق من حماه فاضت دموعى ، وذلك لما ينشأ بمعاينته من التذكر ؛ فإيماض البرق من جهة المحبوب سبب للتذكر الموجب للبكاء والإفراط فيه ، كما قيل :

تذكرت أياماً لنا ولياليا مضت فجرت من ذكرهن دموع
ألا هل لها يوماً من الدهر أوبة وهل لى إلى أرض الحبيب رجوع

ثم لا يخفى على من خاض فى علم التوحيد أن الأسماء كلها إذا أطلقت على الله وعلى غيره لم تطلق عليهما بمعنى واحد أصلا ، وأن كل ما يستحيل معناه فى حق المولى من الصفات يراد به غايته ، كالرحمة فإن معناها رقة فى القلب ، فيراد بها فى حقه تعالى غايتها وهى الإنعام . وكذا الصبور فإنه من الصبر الذى هو حبس النفس على المشاق ، فيفسر فى حقه تعالى بالذى لا يعجل بالعقوبة على من عصاه ، وبذلك يعلم أن محبة الله لعبده لا يراد بها معناها الذى هو الميل والود للمحبوب ، لاستحالة ذلك فى حقه تعالى . وقد اختلف علماء الشرع فى معناها فى حق الله تعالى ، فمنهم من ردها إلى صفة الفعل ، ومعناها حينئذ : إنعامه وإحسانه تعالى على عبده ومنهم من حملها على إرادة الإنعام على عبده أى انعام بدرجة رفيعة كحفظه وتقريبه . وأما بالنسبة للعبد فمحبته لله سبحانه وتعالى انقياده وإذعانه لطاعته وابتغاء مرضاته ، وأن لا يفعل ما يوجب سخطه وعقابه ، ولذا قال بعضهم .

تعصى الإله وأنت تظهر حبه هذا لعمرى فى القياس بديع
لو كان حبك صادقاً لأطعته إن المحب لمن يحب مطيع

وفى التنزيل : ﴿ فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه ﴾ قيل :

الضمير لأهل اليمن نزلت فيهم الآية ، لما روى أنه عليه الصلاة والسلام أشار إلى أبي موسى الأشعرى وقال : « قوم هذا » وقيل الفرس ، لأنه صلى الله عليه وسلم سئل عنهم ، فضرب بيده على عاتق سلمان وقال : « هذا وذووه » أفاده البيضاوى . أما عند أهل الأحوال فمحبتهم لله من الوجدانيات التي تلطف وتدق عن التعبير عنها - تنشأ عن تخلص الروح من الأعراض المكدرة ، وعن فناء النفس عن الحظوظ والعلل والأغراض ، وقد ذكرها التسترى (١) في رسالته . ونص عبارته : وأما محبة العبد لله فحالة يجدها من قلبه تلطف عن العبارة ، أى لا يمكن التعبير عنها بلفظ غير لفظ المحبة ، قال : وقد تحمله تلك الحالة على التعظيم له وإيثار رضاه ، وقلة الصبر عنه والاهتياج إليه ، وعدم القرار من دونه ، ووجود الاستئناس بدوام ذكره له بقلبه . وليست محبة العبد له متضمنة ميلا ولا اختطاطا ، أى كونه فى خط يحيط به - انتهى ما أردت نقله .

ثم إن أسبابها كثيرة ، وهى إما علمية أو عملية . أما العلمية فكاليقين والفكر فى دوام آلائه تعالى وإنعامه على عبده ، والصفح والإكرام واللطف بغفران الذنوب ، والإنعام والتوفيق لصالح

---

(١) التسترى : أبو محمد سهل بن عبد الله ، أحد أئمة الصوفية ؛ توفى سنة ٢٨٣ هـ . وتستر (بضم فسكون ففتح) : بلدة من كور الأهواز من خوزستان . ا هـ

الأعمال ، وإصلاح النيات وحسن العمل ، بأن يشهد أن الله تعالى هو الفاعل له ، وأن العبد محل لظهور ذلك فقط . فالحق سبحانه وتعالى هو الذى أنشأ صور الأعمال ، قال تعالى : ﴿ والله خلقكم وما تعملون ﴾ والأعمال وإن كانت منفية عن العبد من جهة الاستقلال والخلق - فهى تنسب إليه من حيث الكسب ، وتضاف إليه لأنه محل ظهورها قال تعالى : ﴿ وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ﴾ ومن هذه الحيثية يثاب العبد ويعاقب على فعله . واعتقاد غير هذا مخالفة للحق الذى عليه السواد الأعظم من المسلمين ، كاعتقاد الجبرية القائلين : إن العبد ليس له كسب ، بل هو مجبور . وهذا من أدق مباحث علم الكلام وأعظمها خطراً لمن لا ينظر إلى هذين المقامين ، ولذلك قال الجنيد قدس سره : إياك أن تقف فى حضرة شهود الفعل لله وحده دون عباده فتقع فى مهواة من التلف ! ولا ترى لك مع ذلك قط ذنباً فتهلك مع الهالكين ! وليحذر من يقف على غالب كلام الصوفيه ورقائقهم التى تشير إلى نسبة الأفعال إلى الله سبحانه وتعالى أن يظن بأن مرادهم الجبر الظاهرى لما يفهم منه ظاهراً ، وحاشاهم من الجبر الظاهرى ! لكن هؤلاء غلب فيهم شهود الحق ، فلا يرون لأنفسهم عملا ، ولا يعيبون لأحد فعلا ، لأنه من حيث صدوره من الله تعالى حميد ، كما قال بعض العارفين :

إذا ما رأيتَ الله للكلِّ فاعلا وجدتَ جميع الكائنات ملاحَا

وإن لم ترى إلا مظاهرَ صنعه حُجِبت فَصَيَّرت القباح ملاحا

[ومن أسباب المحبة] - « عدم الاعتماد على العمل » وهكذا شأن العارفين الكاملين ، فإنهم لا يرون لأنفسهم عملا ألبتة يعتمدون عليه ، لأن ذلك يوقع فى الخلل لمنافاة رؤية التقصير التى هى من أنفع الأشياء عند أهل الله الذين يرون أنهم مقصرون مع منة الله الجسيمة عليهم ، التى أعظمها نعمة الإيجاد والإمداد . ومن أهل هذا المقام سيدنا الناظم نفعنا الله به ، وكثيراً ما يشير إلى رؤية التقصير وشهود المنة فى كلامه المنظوم والمنثور ، ومنه منظومته البائية التى جمع فيها رؤية التقصير واستشعار الخوف والرجاء ، كما يظهر ذلك لمن تأمل فى معانيها ، وهى قوله :

تفيض عُيونى بالدموع السواكب ومالىَ لا أبكى على خير ذاهب

على العمر إذْ ولَّى وحان انقضاؤه بآمال مغرور وأعمال ناكب

على غُرر الأيام لما تصرَّمت وأصبحتُ مُنهارهن شؤم المكاسب

على زهَرات العيش لما تساقطت بريح الأمانى والظنون الكواذب

على أشرف الأوقات لما غبنتها بأسواق غبْنٍ بين لاهٍ ولاعب

على صرفىَ الأنفاس فى غير طائل ولا نافع من فعل فضلٍ وواجبِ

إلى أن قال مستغفرا وملتجأ وراجياً :

فاستغفر الله العظيمَ جلالُه وقدرته فى شرقها والمغارب
إليه مآبى وهو سؤلى وملجئى ولى أمل فى عطفه غيرُ خائب

[ومن أسباب المحبة] - « تكلف الأعمال المطلوبة بالجد وإيقاعها على سنن الموافقة ، مع التشمير لأداء الواجبات والنوافل ، وبها يحصل القرب للعبد إلى أن يصل إلى أقصى المقامات . كما فى الحديث .

[ومنها] - ذكر الله سبحانه وتعالى فى الأسحار بلسان الافتقار ، والتهجد فى هذا الوقت والمواظبة عليه مع الإخلاص ، فإن لله سبحانه وتعالى نفحات فى الأزمنة كالأمكنة ، كما ورد : « إن لله فى أيام دهركم نفحات فتعرضوا لها » ويبغى ملاحظة هذا الحديث عند التعرض للنفحات فى أى وقت كان .

[ومن أسباب المحبة] - الإكثار من الدعاء والابتهال امتثالا لأمره تعالى حيث قال : ﴿ ادعونى أستجب لكم ﴾ وإظهار الفاقة و « الدعاء مخ العبادة » كما فى الحديث ، أى خالصها . وإنما كان مخاً لها لأن الداعى إنما يدعو الله عند انقطاع أمله مما سواه ، وذلك حقيقة التوحيد والإخلاص ، ولا عبادة فوقهما ، أو لما فيه من إظهار الافتقار والتبرى من الحول والقوة ، وهو سمة العبودية واستشعار ذلة البشرية ، قال بعض العارفين :

الله يغضب إن تركت سؤاله وبُنَىُّ آدم حين يُسأل يغضب

[ومن أسباب المحبة] - مخالطة المحبين ومحادثتهم مع العمل على منوالهم ، والاستشراف على مواجيدهم وأعمالهم ، والحرص على الاقتداء بهم . وفى معنى ذلك مطالعة كتبهم ومؤلفاتهم .

[ومنها] حسن الظن بالله سبحانه وتعالى فى أمر الدنيا والدين ، فإنه مقام شريف من مقامات اليقين ، والناس فيه على قسمين : فالخاصة منهم وهم العارفون يحسنون الظن به لاتصافه تعالى بالصفات العلية . والعامة لما عودهم به من الإحسان والنعم السنية ، فمن لم يصل إلى مقام الخاصة فليحسن الظن بالله لما عوده من الإحسان ، ويكون واثقاً بربه تعالى فى إيصال المنافع إليه ودفع المضار عنه كما عوده ، ويكون قوى الرجاء فى قبول أعماله فى الآخرة وغفران ذنوبه كما وعده سبحانه وتعالى ، وقد قال بعض الشعراء :

الله عوّدك الجميـــــ ـــل فقس على ما قد مضى

ومن أعظم مواطن حسن الظن بالله : حالة الموت ، لما فى الحديث « لا يموتن أحدكم إلا وهو محسن الظن بالله » ، وورد : « انا عند ظن عبدى بى فليظن بى ما شاء » . وأنشد العارف بالله يحي النووى عند الاختصار :

تباشر قلبى فى قدومى عليهم وبالسير روحى يوم تسرى إليهم
وفى رحلتى يصفو مقامى وحبذا مقام به حطّ الرحال لديهم

ولا زاد لى إلا يقينى بأنهم   لهم كرم يغنى الوفود عليهم

[ومن أسباب المحبة] ـ محاسبة النفس ، والتوبة من جميع الذنوب ، والتوبة أول منازل السالكين ، قال سيدنا الناظم نفع الله به :

والتوبة الخلصاء أول خطوة   للسالكين إلى الحِماء الأمنع

والاستغفار والرجوع إلى طاعة الله ، وإرسال المدامع حزناً على ما فات من أوقات العمر الضائع .

[ومن أسباب المحبة] مراقبه المولى فى الحركات والسكنات . وهذا المقام أعنى المراقبة شرط فى طريق المقربين ، وهى دوام استحضار القلب إحاطة علم الله تعالى بحركاته وسكناته .

واعلم أن الأحوال المذكورة من التعظيم وإيثار رضاه ، وغير ذلك من أحوال المحبين يدور عليها كلامهم ، فمن ذلك قول سلطان العاشقين عمر بن الفارض قدس سره :

وتعذيبكم عذب على وجَورُكم   على بما يقضِى الهوى لكمُ عدل

ولبعضهم :

هجرتُ الخلق طرّاً فى رضاكا   وأيتمت العيال لكى أراكا

فلو قطَّعتنى إرباً فإرباً   لما حنّ الفؤاد إلى سواكا

ولسلطان العاشقين ابن الفارض :

وبما شئتَ فى هواك اختبرنى   فاختيارى ما كان فيه رضاكا

ومن تحقق له هذا المقام لا يبث شكواه فى سره ونجواه إلا إليه تعالى لا لغيره ، وفى الحديث : « ثلاث من كنوز البر : كتمان الصدقة ، وكتمان المصيبة ، وكتمان الشكوى ، يقول الله تعالى ، « إذا ابتليت عبدى فصبر ولم يشكنى إلى عواده أبدلته لحماً خيراً من لحمه ، ودماً خيراً من دمه ، فإن أبرأته أبرأته ولا ذنب عليه : وإن توفيته توفيته إلى رحمتى » اه . نعم الشكوى إليه تعالى من الالتجاء والتضرع ، وإظهار الافتقار إليه مطلوب كما قال أبو الصديق : (إنما أشكوا بثى وحزنى إلى الله) ولبعضهم :

على أى حال ردَّ قاضى الهوى الدعوى

وفى القلب سرٌّ نشرُه قط لا يُروى

إلى أن قال :

خزانة وصلٍ كل من رام فتحها   فقد أغلق اللذات واستفتح البلوى

فأول ما يقضى على من يرومه   قبول البلا والبعد عن موطن الشكوى

كذا من أراد الحب فليحتفل له   وإلا فما نيل المنى لقمة الحلوى

ولبعضهم :

أموت بدائى لا أصيب دوائيا   ولا فرجاً مما أرى من بلائيا

إذا كان داء العبد حب مليكه   فمن دونه يرجو طبيباً مداويا

ومن لوازم المحبة قول بعضهم :

عين المحب بنومها لا تنعم ... تَرعى الدياجى والخلائق نُوَّم
رحل الكرى عنها فأسبل دمعها ... ما فى الضمير من المحبة يكتم
يتلو الكتاب ودمعه مترقرق ... يَذرى الدموع هو المحب المسقَم
يتملق المولى ويسأله الرضا ... ويقول يا من كان عنى يحلُم
أيام كنت أجرّ ذيل جهالتى ... متمرداً غِراً ونفسى أظلم
يا حسنه مستعتباً لحبيبه ... بخضوع مشتاق ودمع يسجم
حتى إذا الليل استوى لرحيله ... وخشى من الصبح المنغِّص يهجم
ناداه بالليل المنغص قف على ... أهل الهوى فعساهمُ أن يرحموا
دعنى أعاتب من أحب فإنما ... عتب المحب لمن يحب تنعُّم
يا واحدى زاد الجفاء وخاننى ... صبرى وأنت محبتى لك تعلم
مولاى لا أشكو الهوى لعذابه ... لكننى أخشى جوارك أحرَم

ولحجة الإسلام فى مقام الاستئناس بالفرار من الناس :

تركت هوى ليلى وسعدى بمعزل ... وعدت إلى محبوب أول منزل
وناديت بالأشواق مهلا فهذه ... منازل من تهوى رويدك فانزل
غزلت لهم غزلا رقيقاً فلم أجد ... لنسجى غزالا فكسَّرت مغزلى (1)

---

(1) الرواية المحفوظة : « لغزلى نساجا ... » .

وللجيلى فى مقام الرضا بمراد الله :

تلذ لى الآلام إذ أنت مسقمى ... وإن تمتحنى فهى عندى صنائع

وقد أشار بذكر المنقطعين إلى الله ، المستأنسين بمولاهم سيدى الناظم فى تائيته الكبرى فقال :

ولله أقوام نأى البعض منهمو ... عن البعض إيثاراً لمقصود خلوة

وأنساً بمولاهم وشغلا بذكره ... وخدمته فى كل حين وحالة

فمنهم مقيم فى الأنام وإنه ... لمستور عنهم تحت أستار غيرة

يراه الورى إلا القليل كغيره ... من الغافلين التاركين استقامة

ومنهم رحال يؤثرون سياحة ... وسكنى مغارات الجبال وقفرة[1]

ومنهم رجال ظاهرون بأمره ... لإرشاد هذا الخلق نهج الطريقة

لهم همة فى دعوة الخلق جملة ... إلى الله عن نصح ولطف ورحمة

أفاد الحبيب - نفع الله به - أن للأولياء فى التنائى مقاصد ، وهى الخلوة والأنس بالمولى بالجمعية ، والاشتغال بذكره وخدمته ، والمراد بها القيام بوظائف العبودية ، فكل ذلك من مقاصد الخلوة ، وثمرتها صفاء القلوب والسرائر من كدورات العادات . وقد اختار السادة الصوفية الخلوة وعملوا بها ، لكونها وسيلة إلى تبديل

---

(١) هذا البيت سقط من الناسخ سهوا والواجب إثباته حيث تكلم عنه الشارح فيما يأتى .

الصفات المذمومة ، وأضافوا إليها الصمت والجوع والسهر ، وبهذه الأربع صار الأبدال أبدالا ، قال الشاعر :

يا من يروم منازل الأبدال ... من غير قصد منه للاعمال
لا تطمعنْ فيها فلست منَ اهلها ... إن لم تزاحمهم على الأحوال
بيت الولاية قسمت أركانه ... ساداتُنا فيه من الأبدال
ما بين صمت واعتزال دائم ... والجوع والسهر النزيه الغالى

وقول الحبيب نفع الله به : (فمنهم مقيم فى الأنام . .) إلى آخر البيتين ، يعنى أن من الأولياء من هو مقيم بين الأنام وهو مستور عنهم . وقوله (يراه الورى إلخ) أى يراه الناس عامة كغيره من الغافلين التاركين الاستقامة إلا القليل وهم أشكاله فى الحقيقة فإنهم لايرونه كذلك . فقوله (من الغافلين) متعلق بقوله (يراه الورى) والحاصل : أن المولى سبحانه وتعالى سترهم بأن ألبسهم لباس التلبيس بين الأنام ، فلا يعرفهم إلا لأشكالهم .

قال صاحب الحكم قدس سره: « سبحان من ستر سر الخصوصية بظهور سلطان البشرية » قال شارحها : سر الخصوصية[1] وهى

---

(١) سر الخصوصية : أى سراً هو الخصوصية التى خص بهـا أولياءه من المعارف والأسرار . بظهور البشرية : أى الأحوال التى تعرض للبشر ؛ فقد يكون بعض الأولياء خواصا مثلا ؛ ليستر خصوصيته بهذه الصفة فلا يعرفه كثير من الناس . ولولا هذا الستر لكان سر الله مبتذلا غير مصون . وقد قالوا : لابد للشمس من سحاب . وللحسناء من نقاب ــ اه شرنوبى على الحكم . وفيه إشارة إلى سيدى على الخواص شيخ العارف الشعرانى .

المعارف والأسرار التى يعطيها الله لأوليائه ، ويفيضها على قلوبهم بظهور سلطان البشرية ، أى الأحوال التى تعرض للبشر ، والأمور الدنيوية التى يتعاطاها الناس ، فإن بعض الأولياء قد يكون حماراً ، أو خواصاً ، أو حياكا فلا يعرفه غالب الناس ، ليستر خصوصيته بهذه الصفة التى يتعاطاها ، ومخاصمته للناس فى حال معاملته معهم . وقد يظهر الله آثار الخصوصيات على بعض الناس ، وهم الدعاة إلى الله تعالى ليتكمل بهم غيرهم ـ انتهى .

وفى الحديقة الندية شرح الطريقة المحمدية للعارف النابلسى ، نقلا عن الشيخ الأكبر محي الدين بن عربى فى معنى « تستر الولى » : والصورة التى ظهر فيها هذا الولى من أحواله أيضاً ، فما ظهر بخلاف أحواله ، وإنما ظهر بخلاف الحال الذى تعتقده العامة فى الولى أنه حال له ، ولا يخفى ولى حاله عن الناس إلا بدخوله مداخلهم فى عاداتهم مما لا تنتهك فيه حرمة شرعية ، فلا يرى العامة من هذا الولى إلا ما اعتادته من العامة ، فلا يتميز لهم حال الولى المتوهم فى نفوسهم فيكون ستراً لهم على هذا الحال المتوهم فما استتر أيضاً إلا بحاله ، فإن استتر بأمر فى الظاهر عندهم أنه منتهك فيه حرمة شرعية فالغلط فى نظرهم لا فى نفس الأمر ، وبعيد أن يقع مثل هذا من كبير فى الطريق متمكن ، ولا من صاحب حال لشغله ، فإن صاحب الحال تحت حكم حاله فلا يقوم له خاطر فى الستر ولا فى الظهور ، وإنما هو بحكم ما يصرفه فيه

المعارف والأسرار التي يعطيها الله لأوليائه ، ويفيضها على قلوبهم بظهور سلطان البشرية ، أى الأحوال التي تعرض للبشر ، والأمور الدنيوية التي يتعاطاها الناس ، فإن بعض الأولياء قد يكون حماراً ، أو خواصاً ، أو حياكا فلا يعرفه غالب الناس ، ليستر خصوصيته بهذه الصفة التي يتعاطاها ، ومخاصمته للناس فى حال معاملته معهم . وقد يظهر الله آثار الخصوصيات على بعض الناس ، وهم الدعاة إلى الله تعالى ليتكمل بهم غيرهم ـ انتهى .

وفى الحديقة الندية شرح الطريقة المحمدية للعارف النابلسى ، نقلا عن الشيخ الأكبر محي الدين بن عربى فى معنى « تستر الولى » : والصورة التي ظهر فيها هذا الولى من أحواله أيضاً ، فما ظهر بخلاف أحواله ، وإنما ظهر بخلاف الحال الذى تعتقده العامة فى الولى أنه حال له ، ولا يخفى ولى حاله عن الناس إلا بدخوله مداخلهم فى عاداتهم مما لا تنتهك فيه حرمة شرعية ، فلا يرى العامة من هذا الولى إلا ما اعتادته من العامة ، فلا يتميز لهم حال الولى المتوهم فى نفوسهم فيكون ستراً لهم على هذا الحال المتوهم فما استتر أيضاً إلا بحاله ، فإن استتر بأمر فى الظاهر عندهم أنه منتهك فيه حرمة شرعية فالغلط فى نظرهم لا فى نفس الأمر ، وبعيد أن يقع مثل هذا من كبير فى الطريق متمكن ، ولا من صاحب حال لشغله ، فإن صاحب الحال تحت حكم حاله فلا يقوم له خاطر فى الستر ولا فى الظهور ، وإنما هو بحكم ما يصرفه فيه

حاله . وإنما يقع الستر من الأكابر بالمباحات والعادات التى لا يقدح الشرع فيها خاصة - انتهى .

وقوله : (ومنهم رجال يؤثرون سياحة الخ . .) أى ومن الأولياء رجال يؤثرون سياحة فى البرارى وسكنى المغارات . وهؤلاء قوم اختاروا الاعتزال عن الناس إلى مواضع الخمول البعيدة عن الأمصار والقرى من رءوس الجبال ومنقطعات القفار ، وقنعوا بالقليل مما تنبته الأرض من الثمار المباحة ، واستأنسوا بخالقهم ، ولولا الأنس بالمولى ما قدر أحد من أهل هذا المقام على التبتل والانفراد فى رءوس الجبال والقناعة بأكل الحشيش

وأقل أمر فى هذا الاعتزال : أن يلازم الإنسان بيته فلا يخرج إلا مقدار الضرورة ، كما روى الحاكم فى مستدركه عن ابن عمر ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إذا رأيت الناس قد مرجت عهودهم وخفيت أماناتهم ، وكانوا هكذا (وشبك بين أنامله) فالزم بيتك ، واملك عليك لسانك ، وخذ ما تعرف ودع ما تنكر ، وعليك بخاصة أمر نفسك ، ودع عنك أمر العامة » أخرجه السيوطى فى الجامع الصغير . وعلى هذا كان خواص سلفنا العلويين ، فإنهم يؤثرون العزلة فى ابتدائهم عن الناس ليبعدوا عما طبعوا عليه من الأخلاق الردية ، والأعمال الذميمة - ثم الخلوة فى نهايتهم ، ليتحققوا بأنس الخالق . وقصدهم بالتبتل فيها جمع الهمة على

المقصود ، والانفراد بالمحبوب ، لتكمل مناجاتهم ، ويترقون في معارج القرب . وللإمام اليافعي أعاد الله علينا من بركاته :

فلازم مكاناً حين تعتزل الورى إذ القلب مجموع وصدرك يشرح
فقد قال أشياخ الطريقة من يجد بخلوته جمعاً فلا قط يبرح
وفي مثل هذا الوقت جاءت صريحة أحاديث في مدح اعتزال تصرح

وقوله : (ومنهم رجال ظاهرون بأمره . . الخ) أي ومن الأولياء رجال ظاهرون بأمره . والمراد بالأمر هنا : ماشرعه الله ورسوله من الأحكام واستمر العمل به . والمراد بهم مقررو الشرائع والأحكام ، وهم الذين قصروا هممهم على دعوة الخلق إلى الله على طريقة سيد المرسلين ، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله أجمعين .

وقوله : (عن نصح) أي عن إخلاص وصدق في دعوتهم وإرادة الخير لهم . وهذا شأن أرباب الكمال الدعاة إلى الله .

وقوله : (ولطف) هو الرفق ، وهو نتيجة حسن الخلق ، وفي الحديث : « ماكان الرفق في شيء الازانه » .

وقوله : (ورحمة) المراد بها رقة القلب .

ثم هذه الأوصاف ، وهي النصح والرفق والرحمة من صفات هداة الخلق المتصدين لإرشادهم إلى معالم دينهم ، إذ هي من صفات

الأنبياء . والدعاة إلى الله نواب الحق فى العالم كالرسل عليهم الصلاة والسلام فى زمانهم . فمن قام فى مقام الإرشاد ، وتصدى لنفع العباد ، يكون على قدم النبي صلى الله عليه وسلم فى دلالته الناس على ما ينفعهم . وقد سئل الناظم ـ نفع الله به ـ لما عدد مراتب الأوليـاء : من الذى هو أثقل أمراً ، وأشد تعباً ؟ فأنشد هذا البيت :

ومنهم رجال ظاهرون بأمره   لإرشاد هذا الخلق نهج الطريقة

وإنما كانوا أشد تعباً لأن من تصدى للإرشاد يحتاج أن لا يفارقه الصبر على ما يناله من الأذى ، وهذا أشق على النفس ، ومن أعمال القلوب المأمور بها فى قوله تعالى : ﴿ يأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ﴾ . وقد قيل :

فإن كنت فى هدى الأئمة راغباً   فوطن على أن تشجَبَنْك الوقائع[1]

بنفس وقور عند كل كريهة   وقلب صبور وهو فى الصدر مانع

لسانك مخزون وطرفك ملجم   وسرك مكتوم لدى الرب ذائع

وذكرك مغمور وبابك مغلق   وثغرك بسام وبطنك جائع

وقلبك مجروح وسوقك كاسد   وفضلك مدفون وطعنك شائع

---

(١) شجبه : حزنه وشغله وأهلكه . والشجب ـ بالتحريك ـ : الحزن والعنت يصيب الإنسان من مرض أو قتال اه .

وفى كل يوم أنت جارع غصة   من الدهر والإخوان والقلب طابع
نهارك شغل الناس من غير منة   وليلك شوق غاب عنه الطلائع
فدونك هذا الليل خذه ذريعة   ليوم عبوس عزّ فيه الذرائع

وهذه طريقة السادة العلويين ، فدأبهم الاشتغال بالعلم والتعليم للإرشاد والدعوة إلى الله تعالى لإحياء شريعة سيد المرسلين . قال بعض العلماء : إن الاشتغال بذلك مع صلاح النية أفضل من قيام الليل وصيام النهار ، ومن الخلوة والرياضة ، لاسيما فى هذه الأعصار التى انطمست فيها معالم الشريعة ، وعم الجهل فى أهلها ، وذلك من أفضل الطاعات وأعظم القربات بشرط صلاح النية .

ولسيدى القطب أحمد بن عمر بن سميط قدس سره :

فأين أولو الإنصاف أين أولو النهى   وأين الحجا والحجر أين المشمِّر
فلا زال فى إخواننا وربوعنا   من العلويين الكرام المبكِّر
لنصرة دين المصطفى أشرف الورى   لكى يعلو الأديان والحق أظهر
معاشرة الإخوان قوموا جميعكم   قيام أمرىء فى دعوة الحق ينصر
ونوبوا عن المختار فى نشر ما أتى   إليكم به عن ربه لا تقصِّروا
ولا تخذلوا شرع الرسول فإنه   عزيز عليه ما عنتم بل انصروا
فمن ينصر الشرع الشريف فنصره   تكفل مولاه به فتدبروا[1]

---

(١) فى الأصل : « فمن نصر » وعليه لا يستقيم وزن البيت .

ولنرجع إلى ما كنا بصدده من المحبة - ثم إن المحبين على أقسام ثلاثة: عوام، وخواص، وخواص الخواص.

أما الأول - فمحبتهم له تعالى لوفور إحسانه، وفى الحديث: «أحبوا الله لما يغذوكم من نعمه .. الخ الحديث.

وأما الثانى - فمحبتهم خالصة من الشوائب.

وأما الثالث - فمحبتهم عبارة عن التعشق الذى به يمحى العاشق عند تجلى نور معشوقه، ولا تحصل هذه المحبة إلا بعد اليقين. ولرابعة العدوية:

أحبك حبين: حب الهوى وحباً لأنك أهل لذا كا

فأما الذى هو حب الهوى فشغلى بذكرك عمن سوا كا

وأما الذى أنت أهل له فكشفك للحجب حتى أرا كا

فلا الحمد فى ذا ولا ذاك لى ولكن لك الحمد فى ذا وذا كا

وأكمل الخلق فى المحبة سيد المرسلين، وإمام المتقين، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين إذ الحب أصل المقامات التى عنها ظهر الوجود، كما ورد فى بعض الكتب الإلهية: «كنت كنزاً مخفياً لم أعرف، فأحببت أن أعرف، فخلقت الخلق وتعرفت إليهم، فبى عرفونى»[1] وهو صلى الله عليه وسلم أصل الموجودات،

---

(١) قال السيوطى وغيره: لا أصل لهذا الحديث.

فأعطى سبحانه و تعالى الأصل للأصل ، واعلم أن المحب لا يغفل عن محبوبه ، ومطيع له فى القيام بما إليه دعاه ، فإن المحب ولو تغافل لا يغفل عن ذكر الحبيب فى أى حال من حالتى قربه و بعده لأن المحبة دين أهل الله ، ولذا قال سلطان العاشقين ابن الفارض قدس الله سره :

وعن مذهبى فى الحب مالى مذهب　　وإن ملت يوماً عنه فارقت ملتى

* * *

ثم قال الحبيب نفع الله به :

﴿ مضَى زمانى فى الجفا ودهرى　　ومَدمعى قد خاننى وصبرى ﴾
﴿ وضاق بالفرقَة فسيحُ صدرى　　ما حيلتى كم شا أكون صابرْ ﴾

ذكر فى هذه الأبيات حاله وما اعتراه بسبب الحب ، وأن دهره مضى فى جفاء حيث لم يكن مسعوداً بحصول المنى فيه ، وهذا المعنى أحد أنواع الغزل المعبر عنه بـ « التشبيب » عند الشعراء ؛ فإنهم يفتتحون قصائدهم بالغزل كى يتخلصوا منه إلى المقصود . والغزل أربعة أنواع : «الأول» ذكر صفات المحب « الثانى » ذكر صفات المحبوب التى هى أسباب المحبة ، حسية كانت أو معنوية ، كالحسن والجمال «الثالث» ما يتعلق بالمحب والمحبوب جميعاً من هجر ووصل وصد ، « الرابع » ما يتعلق بالوشاة . فذكر الناظم نفع الله به هنا القسم الأول حيث قال : ومدمعى قد خاننى الخ ، أى مدمعه

وصبره خاناه فلم يسعفه الدمع بالامتناع عن السكب ، ولا الصبر يبقائه ، بل ذهب الصبر وكثر الدمع .

قوله (وضاق بالفرقه فسيح صدرى) الفرقه بإبدال التاء هاء للوزن . وفسيح الصدر من إضافة الصفة إلى الموصوف ، أى ضاق صدرى الفسيح بسبب الفرقة . وقوله (ما حيلتى الخ) المعنى بأى حال من الأحوال أكون صابراً على الجفاء ، وما أقاسيه من ألم الفرقة ، وقوله : (كم شا أكون صابر) هذه اللفظة معهودة عند أهل اليمن ، وهى وإن لم تكن من وضع العربية لكنها متداولة فى الألسن عندهم . وأكون فعل مضارع ، ولعل هذه اللفظة يجعلونها حشواً فى الكلام ، ويصدرون بها المضارع غالباً بمنزلة سين التنفيس ، كما سمع منهم فى مخاطباتهم .

* * *

ثم قال الحبيب نفع الله به :

عسَى عسَى يا ساكنين نَعمانْ	أن ينثَنى وقتُ الصفا الذى كانْ
وينكشفْ حالُ الأسى والأشجان	بوصل ليلى بهجة المسامرْ

« عسى » معناها الترجى فى المحبوب ، والإشفاق فى المكروه .
وعلى الأول قول الشاعر :

فعسى الذى أهدَى ليوسف أهلَه	وأمده فى السجن وهو أسيرُ
أن يستجيب لنا ويجمع شملنا	واللهُ رب العالمين قديرُ

قوله (والأشجان) بنقل الحركة . ونعمان بفتح النون واد معروف ، وهو المراد فى قول الشاعر :

أعِدْ ذكر نعمان لنا إن ذكره　　هو المسك ما كرَّرته يتضوع

وفى قول الآخر

أيا جبلَى نَعمان بالله خلِّيا　　طريق الصَّبا يخلص إلى نسيمها

(قوله : بوصل ليلى بهجة المسامر) قد جرت عادة المحبين فى قصائدهم بذكر ليلى ، وهى معشوقة مجنون بنى عامر ثم العارفون يكنون بها عن المحبوبة الحقيقية ، وهى الحضرة العلية المنزهة عن المشابهة .

وفى شرح الرسالة القشيرية للشيخ زكريا الأنصارى قدس سره ما نصه : رئى مجنون بنى عامر بعد موته فى المنام ، وكان قد استغرق فى حب امرأة وساح فى البرارى ، فقيل له : ما فعل الله بك ؟ فقال : غفرلى ما كان منى من الزلل ، وجعلنى حجة على المحبين الذين يدعون حب الله .

فيه دليل على كماله تعالى وتنزهه ، وأن من أحب حقه أن يفرغ كليته فى طلبه ، وأن مجنون بنى عامر كانت محبته لمن له أشباه ، مع أنه استغرق فى حبه هذا الاستغراق العظيم ، وساح فى البرارى ، ولما رآه هذا الرائى فى النوم وهو من المحبين لله ، سأله عن حاله ؛ فأجابه بما ذكر . وإنما جعله حجة على من ذكر لأنه بذل نفسه فى

محبة مخلوق له أشباه ، فكيف بمن ادعى محبة من لا مثل له ولا شبيه ؟ فحقه أن تزيد محبته على محبة مجنون بنى عامر الزيادة الغالبة . فهذه الرؤيا فى حق الرائى إن كانت كملت محبته لله وفى حق كل من سمعها اهـ. والوصل عند القوم : مكاشفة القلوب ، ومشاهدة الأسرار ، بأن يطلع الله تعالى من أراد من أهل العناية على كونه تعالى معه فى سائر الأحوال الثابت ذلك فى نفس الأمر . وسمى هذا الشهود وصلا لاتصال العارف بشهود ما الأمر عليه فى الواقع قال تعالى : (وهو معكم أينما كنتم) أى على أى حال كنتم ، فمعيته تعالى لنا متحققة فى نفس الأمر . والذى يحصل لأهل العناية أن يكشف عن بصائرهم حتى يشهدوها قاله فى شرح ورد السحر للعارف بالله سيدى عمر بن جعفر الشبراوى ، وهو من العلوم الذوقية التى تخفى حقيقتها على غير أهلها . وفيه قال سيدى العارف بالله مرشدنا وبركتنا على بن محمد بن الحسين الحبشى العلوى أطال الله بقاه :

حقيقة معنى الوصل تخفى على الغمر　　ومورد عين القرب من مطلع الفجر
وفى سر معنى الذوق كم من عجيبة　　يترجم عنها القلب والروح كالسر

* * *

ثم قال الحبيب نفع الله به .

﴿ أنا الذى فى حبها مُتَيَّمْ　　محزونُ مشجونُ الفؤاد مغرَمْ ﴾
﴿ فهل تراها يا نديم تعلم　　بما بقلبى من هوًى مخامِرْ ﴾

المتيم بتشديد الياء المفتوحة : من تيمه الحب ، استعبده وأذله ، إذ المحب فى جناب الحبيب كالعبد اللبيب فى مقام الطاعة فى كل ساعة ، مذلل محقر منقاد ، إذ العبودية تستلزم ذلك. والمغرم بصيغة اسم المفعول من الغرام ، وهو الولوع ، فالمغرم هو المولع بالشيء لا يصبر عنه . والحزن : هو الهم . أو خلاف السرور . وهذه الأسماء الأربعة أخبار : تعددت لمبتدأ محذوف ، تقديره . أنا الذى هو متيم . . الخ . وذلك عند من يجوز تعدد الخبر ؛ قال فى الخلاصة :

وأخبروا باثنين أو بأكثر عن واحد كهم سراة شعرا

وقوله (فهل تراها . . الخ .) الاستفهام للإنكار ؛ أى لا تظنها يا نديمى تعلم بما حل بقلبى من الهوى الذى خامره أى خالطه ؛ إذ الحب من الوجدانيات فلا يعرفه إلا صاحبه ؛ كما قيل :

لايعرف الشوق إلا من يُكابده ولا الصَّبابة إلا من يُعانيها

ولبعضهم وأجاد :

تحقَّقَ أنى فيه أصبحت مغرَما ولكنه لم يدْر ما سببُ الحب

تعشقت منه حالة لست قادراً على وصفها إذ لم يذُقها سوى قلبى

* * *

ثم قال الحبيب نفعنا الله به :

﴿ ياسا كنينَ السفح من فؤادى   وادى النَّدَا يا خيرَ كلِّ وادى ﴾

﴿ حيث المنادِى سمَّع المنادى   يا أُهل البصائر حدقوا البصايرْ ﴾

السفح : طرف الجبل المحاذى للوادى . أو وسط الجبل ؛ شبه الفؤاد به على سبيل الاستعارة المكنية ، لأنه صرح بالمشبه دون المشبه به ، وإنما دل على المشبه به بشىء من لوازمه وهو السفح تخييلا ، وذكر السكون ترشيحاً . والمعنى : أنهم كالمقيمين فى فؤاده لصدق محبته لهم ، وانطباع حقائقهم فى ذهنه ، فهم بهذا المعنى حاضرون فى الفؤاد وإن غابت الأجساد ، ويشهد له قول القائل :

حبيب نأى وهْو القريب المصاقِب   وشَحط النوى لم تَنُض َفيه الركائب [1]

والذى يظهر أن المنادى الأول والثانى بزنة اسم الفاعل فهو بكسر الدال ، وحيث ظرف لمكان الندا وهو وادى الندى والمراد به مكة مهبط الوحى والتنزيل . أو طيبة المشرفة بساكنها عليه أفضل الصلاة والسلام . ولا مانع من إرادة الواديين ، إذ كل منهما حظى بنصيب وافر منه صلى الله عليه وسلم .

ألا يارسول الله شرّفت طَيبةً   ومكة لمّا صرت طَرز حلاهُما

حللت بهذى مرةً ثم مرة   بهذى فطاب الواديان كلاهما

(١) المصاقب : الدانى . أو المواجه . الشحط : البعد . النوى ــ هنا ــ الدار . لم تنض : لم تهزل . الركائب : الإبل .

والمراد بالمنادى : الداعى إلى الله ، أى حيث الداعى يسمع الداعى فى ذلك الوادى ، وهو كناية عن كثرة الدعاة إلى الله ، ولم يزل فيه المنادون لطرق الرشاد من العلماء المقررين لشريعة سيد المرسلين ، القائمين بنشرعلوم الشريعة وعلم الأخلاق والآداب وكل علم نافع ، المهتدين بهدى الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، وهو أشرف وأكرم المنادين أمته إلى الإيمان بالله وبه وبالقرآن . ويلزم من الإيمان به الإيمان بكل ماجاء به صلى الله عليه وسلم .

والذين استجابوا لندائه صلى الله عليه وسلم هم المؤمنون حقاً ، المستدلون على قدرته بآياته الباهرة ، الذين يتفكرون فى خلق السموات والأرض ليستدلوا بهما على صانعهما الحكيم ، القائلون بعد رسوخ الإيمان فيهم والنظر إلى خلقه بعين الاعتبار ﴿ ربَّنا ما خلقتَ هذا باطلا سبحانك فقِنا عذاب النار ﴾ وهم القائلون إذعانا لأمره ، وإيمانا بنبيه الهادى إليه : ﴿ إننا سمعنا منادياً ينادى للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا ﴾ والبصائر : جمع بصيرة ، اسم لما اعتقد فى القلب من الدين وتحقيق الأمر ، وقوة القلب المدركة ، قال الله تعالى ﴿ أدعو إلى الله على بصيرة ﴾ أى معرفة وتحقق . ومن معانيها الفطنة والحجة ، وعليه فلا تكرار فى كلام الناظم ، بل فيه الجناس التام. والمراد بالبصائر ـ فى قوله ﴿حدقوا البصائر﴾ ـ

الحجة(١) . والمراد بالبصائر فى قوله ﴿ يأهل البصائر ﴾ القرآن المشتمل على الدلائل والبراهين الموصلة إلى العرفان واليقين المشار إليه بقوله : ﴿ هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون ﴾ .

* * *

ثم قال الناظم نفعنا الله به :

﴿ هـذا جمال الحق قد تجلَّى ولم يكن محجوبَ قطُّ كلّا ﴾
﴿ لـكنَّ قلب العبد قد تخلّى شاهَدْ وكانت منه السواتِرْ ﴾

المراد بجمال الحق : محاسن صفات الله الجمالية . ومعنى تجلى : ظهر. أشار سيدنا الناظم إلى أنه قد حظى بنصيب وافر مما للعارفين الذين تجلى الله على قلوبهم ، فتحققوا عظمته ، وشاهدوا أنوار جماله وجلاله بأعين البصائر ، وهم الأولياء . وإلى هذا المعنى أشار العارف ابن عطاء الله بقوله رضى الله عنه : يامن تجلى بكمال بهائه ، فتحققت عظمته الأسرار . ويعنى بالأسرار : بواطن قلوب العارفين . والعارف فى اصطلاح أهل الله : من أشهده الله ذاته وصفاته ، وأفعاله وأسماءه على ما يليق به ﴿ قوله ولم يكن الخ ﴾ الواو للحال ، والجملة حال من جمال الحق أو من الحق ، وعليه

---

(١) الأنسب بقوله « حدقوا » أن يكون المعنى : يأهل القرآن ــ والمراد بهم خواص المؤمنين ــ افتحوا قلوبكم وأفسحوها لإدراك جمال الحق ؛ فيراد بالبصائر الثانية قوة القلب . تأمل .

فالضمير فى « يكن » الذى هو اسمها يعود إلى « الحق » وهو أوضح. والمعنى : قد تجلى الحق حال كونه غير محجوب قط ، إذ الحجاب عن النظر إليه إنما هو على العبد بما فيه من الأوصاف النفسانية الساترة لا على الحق . ويوضح معنى كلام الحبيب قول صاحب الحكم قدس سره : الحق ليس بمحجوب ، وإنما المحجوب أنت عن النظر إليه . إلى آخر ما قاله ، وإنمـــا يرتفع الحجاب بالتحلى بالأوصاف الحميدة بعد التخلى عن أضدادها الموجبة للكثافة ، فيصل حينئذ إلى النظر إليه بعين البصيرة ، وهو مقام الإحسان المعبر عنه بمقام المشاهدة ، ويكون الواصل إلى هذه الحالة لا يرى فيها إلا المولى سبحانه وتعالى فانياً عن الأكوان ، متوجهاً بقلبه إلى الرحمن ، ملتقفا مايلقيه المولى سبحانه وتعالى فى قلبه من لطائف العرفان . وإلى ما تقرر أشار العارف بالله سيدى على وفا ، بقوله قدس سره .

إن تلاشى الحجاب عن عين كشفى ... شـاهد السر غيبه فى بيان

فاطرح الـكون عن عِيانك وامح ... نقطة الغين إن أردت ترانى

﴿ قوله لكن قلب العبد قد تخلى الخ ﴾ أراد بالعبد هنا : نفسه ، أى أنه قد تخلى عن الأوصاف الذميمة ثم شاهد ﴿ قوله وكانت منه السواتر ﴾ أى وكانت منه السواتر ، وهى الحجب المانعة عن المشاهدة وحقيقتها المـكثفات من الأوصاف النفسانية ، التى بالتخلى

عنها تحصل المشاهدة . وهذا من الحبيب نفع الله به تصريح ببلوغه لهذه المراتب العلية ، والمناقب السنية ، وبأنه من أهل مقام المشاهدة ، تحدثاً بالنعمة ، وفرحاً بفضل الله تعالى وشكراً لله حيث أهله لهذا المقام امتثالا لقوله تعالى : ﴿ قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ وأما بنعمة ربك فحدث ﴾ .

* * *

ثم قال الحبيب نفع الله به :

﴿ طُورُ التجلى قلبُ كل عارف ومهبِط الأسرار واللطائف ﴾

﴿ والنفسُ موسى تشهدُ المعارف مهما تجلت وأثبتِ الظواهرْ ﴾

أى قلب العارف موضع التجلى ، والتجلى ماينكشف للقلوب من أنوار الغيوب . والطور - كما فى القرطبى - : اسم من أسماء الجبل الذى كلم الله عليه موسى عليه السلام . والمعنى : أن قلب العارف جبل الانكشاف ، ومهبط الأسرار واللطائف . والأسرار : جمع سر وهو مايطلع الله عليه أصفياءه(١) وهو نتيجة التقوى بشاهد قوله تعالى ﴿ واتقوا الله ويعلمكم الله ﴾ . واللطائف : جمع لطيفة ، وهى كل إشارة دقيقة المعنى تلوح

(١) فى شرح الشبراوى على ورد السحر : « السر مالك عليه استشراف . وسر السر . ما لا يطلع عليه إلا الله تعالى ، ويطلق السر على العلوم والأنوار والأحوال المصونة المكنونة بين العبد وربه اهـ .

للفهم لا تسعها العبارة كعلوم الأذواق ، قاله السيد الجرجانى فى تعريفاته . والمعنى : أن قلب العارف موضع تنزلات أنوار الغيوب والأسرار واللطائف . ﴿ قوله والنفس موسى تشهد المعـــارف ﴾ الكلام على التشبيه البليغ ، والمناسبة لاتخفى على الذوق السليم فى ذكر الطور وموسى . يعنى أن النفس كموسى فى شهود المعارف وللنفس معان ، فمن معانيها : عين الشىء وكنهه وجوهره ، يقال : جاء الملك نفسه ، أى عينه ، وهو المراد هنا . والمعنى : أن قلب العارف فى التمثيل كطور التجلى. والنفس ؛ أى عين الشخص كموسى فى شهود المعارف الواردة على القلب مهما تجلت ، أى ظهرت . والمراد بالقلب هنا : اللطيفة الربانية التى لها تعلق بالقلب الجسمانى ، وإنما كان القلب موضع التجلى لأنه محل الفيوضات الإلهية ، كما ورد فى الحديث القدسى: « ماوسعنى أرضى ولا سمائى ووسعنى قلب عبدى المؤمن » . وهو محل نظر الله تعالى ، لقوله صلى الله عليه وسلم « إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم » إذ القلب هو المصلح كما فى الحديث : « إن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله . . . » الخ وبه يعلم أن القلوب هى المصححة للأعمال الظاهرة . والإصلاح بها يكون على ضربين : الضرب الأول هو إصلاح القلب لأصل الأعمال بأن يكون صاحبها مؤمناً ، إذ الإيمان

المنجي هو التصديق بالقلب ، وبه اعتداد أعمال الجوارح وحصول النجاة . وأما الانقياد إلى الأعمال مع التصديق باللسان من دون إذعان باطنى فغير مفيد بالنسبة للآخرة ، وصاحبه ليس بمؤمن ناج فى الآخرة ، بل بالنسبة لإجراء أحكام المؤمنين فى الدنيا من التوارث والصلاة عليه ، وعصمة ماله ودمه . وأما الضرب الثانى فهو إصلاح القلب للأعمال ، لكن لا لأصلها بل لتكميلها ، وذلك بمراقبة الحق فيها ، وهو المعبر عنه بالإحسان حيث قال صلى الله عليه وسلم: فيه «أن تعبد الله كأنك تراه . الخ» فاستفيد من الحديث أن تصحيح الأعمال من أصلها وتكميلها إنما هو بالقلب ، والجوارح تابعة له (وقوله مهما تجلت) أى مهما تجلت للقلوب كما تقدم . (وقوله واثبت الظواهر) أى أثبت الظواهر من أن المراد بموسى هو نبى الله عليه السلام ، وأن المراد بالطور : هو الجبل المشهور ، وذلك فى قوله تعالى : ﴿ فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً وخرّ موسى صعقاً ﴾ وقصده ـ نفع الله به ـ التنبيه بأن قوله (طور التجلى قلب كل عارف) (وقوله والنفس موسى الخ) مجرد تشبيه ، وضرب أمثال لا تنزيل الآية على معنى آخر ، أى لا يتوهم الواقفون على ما فى النظم تأويل موسى فى الآية بالنفس ، والطور بالقلب ، كما فعلت الملاحدة الباطنية ، الذين نزلوا ظواهر الآيات على معان أخر قصد الإغواء ، حتى حرفوا القرآن من أوله إلى

آخره عن ظواهره ، فليس المراد بما فى النظم إلا مجرد تمثيل .

فإن قيل إن مشارب الصوفية فى معانى القرآن تخالف ظواهر التفاسير ؟ فالجواب ماقاله السعد فى شرحه(١)، ونص عبارته : سميت الملاحدة باطنية لادعائهم أن النصوص ليست على ظاهرها بل لها معان باطنة . قال : وأما ما يذهب إليه بعض المحققين من أن النصوص محمولة على ظواهرها ومع ذلك ففيها إشارات خفية إلى دقائق تنكشف لأرباب السلوك يمكن التطبيق بينها وبين الظواهر المرادة ؛ فهو من كمال العرفان ومحض الإيمان اهـ .

وقال ابن عطاء الله فى لطائف المنن : اعلم أن تفسير هذه الطائفة(٢) لكلام الله سبحانه وتعالى وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمعانى الغريبة ليست إحالة للظاهر عن ظاهره ، ولكن ظاهر الآية مفهوم منه ما جلبت الآية له ، ودلت عليه فى عرف اللسان وثم أفهام باطنية يفهمها من الآية والحديث من فتح الله على قلبه ، وقد جاء فى الحديث : « لكل آية ظهر وبطن » . فلا يصدنك عن تلقى هذه المعانى منهم أن يقول لك ذو جدل : هذا إحالة لكلام الله تعالى وكلام رسوله ؛ فليس ذلك بإحالة ، وإنما تكون إحالة لو قال : لا معنى للآية إلا هذا ، وهم لايقولون

---

(١) أى للعقائد النسفية

(٢) يعنى الصوفية .

ذلك ، بل يفسرون الظواهر على ظاهرها مراداً بها موضوعاتها ـ انتهى .

وقال الشيخ أبو مدين رضى الله عنه : القرآن نزل وتنزل ، فالنزول قد مضى ، والتنزل باق إلى يوم القيامة . أى القرآن نزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بلسان جبريل عليه السلام ، وتنزل على قلوب أوليائه بما يلهمهم إياه فى أوقات صفاء قلوبهم ، ويفهمهم معناه إذا خلوا بمحبوبهم ، كما أشار إلى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « استفت قلبك وإن أفتاك المفتون » . وإلى ذلك أشار سيدى العارف بالله والدال عليه القطب على بن محمد بن الحسين الحبشى أدام الله النفع به فقال :

كتاب الله أنزله تعالى　　على خير الورى الهادى الدليل

كتاب جامع للعلم يهدى　　إلى التقوى ويَشفى للعليل

هو الوحى الذى قد كان يوحى　　إلى الهادى على يد جبرئيل

تنزُّله على العلماء باق　　لديهم وهو منقطع النزول

بوصف الأرث للمختار نالوا　　غريبَ الفهم من أعلى مُنيل

* * *

قال الناظم نفعنا الله به :

﴿ والنفس مَغناطيس أمر الالهام　　والروح مغناطيس كون الآجسام ﴾

الـكلام على التشبيه البليغ . والمغناطيس : آلة تجذب الحديد معروفة . والمراد بأمر الإلهام : الشيء الملهم به ، فنسبة النفس إلى جذبه كنسبة المغناطيس إلى جذب الحديد . وحاصل المعنى : أن النفس شأنها أن تميل إلى الأمر الملهم به ، ويصير ميلها إليه داعياً إلى فعله ـ طاعة كان أو معصية ـ على مقتضى قوله تعالى : ﴿ فألهمها فجورها وتقواها ﴾ والنفس إما حيوانية ، وهى التى تميل إلى رجس الحظوظ . وإما إنسانية ، وهى التى لا تميل إلى ذلك بل إلى العلوم والمعارف، ثم إن النفس الإنسانية لها مراتب مختلفة ، بها توصف بأوصاف مختلفة بحسب أحوالها ، فإذا سكنت تحت الأمر وزايلها الاضطراب بسبب معارضة الشهوات سميت النفس المطمئنة ، قال تعالى : ﴿ يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضيةً مرضيةً ﴾ وإذا لم يتم سكونها ولكنها صارت مدافعة للشهوات معترضة على النفس الشهوانية سميت اللوامة ، لأنها تلوم صاحبها عند تقصيره فى عبادة مولاه ، قال تعالى : ﴿ ولا أقسمُ بالنفس اللوّامة ﴾ وإذا تركت الاعتراض ، وأذعنت للشهوات ، وانقادت لدواعى الشيطان سميت النفس الأمارة بالسوء ، قال تعالى: ﴿إن النفس لأمـارة بالسوء ﴾ وهذه هى المذمومة والمرادة للصوفية إذ يقولون : لا بد من مجاهدة النفس وكسرها ، وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم : « أعدى عدوك نفسك التى بين جنبيك»

وأما الفرق بين النفس الناطقة والروح والقلب ، فحاصل ما أوضحه حجة الإسلام الغزالى : أن (لفظ القلب) يطلق لمعنيين :(أحدهما) اللحم الصنوبرى الشكل المودع فى الجانب الأيسر من الصدر ، وهو لحم مخصوص فى باطنه تجويف ، وفى ذلك التجويف دم أسود هو منبع الروح ومعدنه ، وهذا إنما يتعلق به غرض الأطباء ، وليس هو المراد فى الآيات القرآنية والأحاديث النبوية (والمعنى الثانى) ـ لطيفة ربانية روحانية ، لها بهذا القلب الجسمانى المذكور تعلق ، وتلك اللطيفة هى المدركة للمعارف ، وهى فى الحقيقة الإنسان المطالب والمخاطب ، والمثاب والمعاقب . وقد تحير أكثر الخلق فى وجه تعلق هذه اللطيفة بالقلب الجسمانى ، وإن الوقوف على حقيقة ذلك إنما يكون لمن أطلعه الله من خواص خلقه على لطائف أسراره ، وهذه اللطيفة هى المرادة بمثل قوله تعالى : ﴿ إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ لهم قلوب لا يفقهون بها ﴾ ، وقوله فى الحديث القدسى : « ما وسعنى إلا قلب عبدى المؤمن » وكذلك فى عبارات علماء الشرع والسلوك.

(الثانى لفظ الروح) ويطلق لمعنيين (أحدهما) جسم لطيف منبعه تجويف القلب الجسمانى ، وينشر بواسطة العروق الضوارب إلى سائر أجزاء البدن . وفيضان أنوار الحياة والحس والبصر والسمع والشم والذوق منها على أعضائها يضاهى فيضان النور

من السراج الذى يدار فى زوايا البيت ، فإنه لا ينتهى إلى جزء من البيت إلا ويستنير به ، وهذا المعنى مراد الأطباء إذا أطلقوا لفظ الروح .

والمعنى الثانى : اللطيفة العالمة المدركة من الإنسان ، التى مر ذكرها فى أحد معنيي القلب ، وهو الذى أراده الله تعالى بقوله : ﴿ ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى ﴾ وهو أمر عجيب ربانى ، عجز أكثر الخلق والعقول عن إدراك حقيقته .

الثالث - النفس ، وهو أيضاً مشترك بين معان ، منها : أن يراد عين الشخص ، فيقال : جاء زيد نفسه ، أى عينه . وأن يراد المعنى الجامع لقوتى الغضب والشهوة فى الانسان ، وهذا المعنى مراد الصوفية إذا قالوا : جهاد النفس ونحو ذلك . والثانى - اللطيفة التى مر ذكرها فى القلب والروح .

وبما تقرر تبين أن معانى الأسماء الثلاثة موجودة وهى القلب الجسمانى ، والروح الجسمانى ، والنفس الشهوانية ، فهذه يطلق عليها الألفاظ الثلاثة . ومعنى خامس [1] وهو اللطيفة العالمة المدركة من الإنسان ، فالألفاظ الثلاثة بجملتها تتوارد عليها . ﴿قوله : والروح مغناطيس كون الأجسام﴾ المراد بكون الأجسام عين الأجسام أى

---

(١) هو خامس فى عبارة الامام الغزالى التى اختصرها الشارح وهو رابع فى عبارته المختصرة فتأمل .

كما أن المغناطيس له تسلط على الحديد يجذبه إليه بخاصية ، كذلك الروح لها تسلط على الجسم تجذبه إليها ، فتكسبه ما كان لها من الصفاء والخواص ، وهى علوية من جنس الملائكة ، وإنما تسفلت بحكم الجسد ، فإذا تخلى العبد عن جميع الأوصاف المذمومة وتحلى بالمحمودة ، وأخذ فى الرياضات : من تقليل الطعام ، والمنام والاختلاط بالأنام ، وجعل ذكر الله ديدنه ، إلى أن تستولى روحانيته على بشريته ، وتكسوها اكتساء النار للجمرة - قوى حينئذ جاذب الروح ، وظهرت خاصيتها على الجسم ، وصار صاحبه حينئذ روحانيا سماويا . وهذا منه ما هو مذكور فى محله من كتب الأئمة . ومنه ما يتلقى من خواص الأمة .

قال سيدى محمد بن حسين الزبيدى فى كتابه « اتحاف السادة المتقين » ما نصه : ومن يطوى لله خالصا يعوضه الله تعالى فرحا فى باطنه ينسيه الطعام وقد لا ينسى ولامتلاء قلبه بالأنوار يقوى جاذب الروح الروحانى ، فيجذبه إلى مركزه ومستقره من عالم الروحانى ويبعدبذلك عن أرض الشهوة النفسانية . وما أثر جاذب الروح إذا تخلف عنه جاذب النفس عند كمال طمأنينتها ، وانعكاس نور الروح عليها بواسطةالقلب المستنير بأقل من جاذب المغناطيس للحديد ، إذ المغناطيس يجذب الحديد لروح فى الحديد مشاكل للمغناطيس يجذبه بنسبته الجنسية الخاصة . فإذا تجنست النفس بانعكاس نورالروح الواصل إليها بواسطة القلب، يصير فى النفس

روح استمدها القلب من الروح ، وأداها إلى النفس فيجذب الروح النفس بجنسية الروح الحادث فيه ، فيزدرى الأطعمة الدنيوية ، والشهوات الحيوانية - انتهى(١) ثم إذا استولت الروحانية على البشرية ، وصارت الروح دائما تجول فى أنوار التوحيد وأسرار التفريد ، لاءم الجسم الروح ، وتقوى على الأمر الخارق . وفى هذا المبحث قال سيدى عبد العزيز الدباغ فى الابريز - بعد أن ذكر ما ذكر مما يتعلق بهذا المبحث - ما نصه : ومن ذلك ما يقع للأولياء من وجودهم فى المواضع والأماكن . ودخولهم فيها من غير فتح أبواب ، ومن ذلك ما يقع لهم فى مشى الخطوة ، حتى يضع الواحد منهم رجلا بالمشرق ورجلا بالمغرب ، فإن الذات لا تطيق خرق الهواء الذى بين المشرق والمغرب فى لحظة فإن الهواء يقطع أوصالها ويفتت أعضاءها . وينشف الدم والرطوبات التى فيها ، ولكن الروح أمدتها بالقوة المذكورة لحبها لها حتى وقع ما وقع اه .

وقال أيضاً فى موضع آخر من كتابه المذكور ما نصه : فإذا أحبت الروح الذات ، وزال الحجاب الذى بينهما أمدتها بهذه البصيرة ، فتبصر الذات من أمام وخلف وفوق وتحت ويمين وشمال بجواهرها كلها ، وتسمع كذلك وتشم كذلك ، وبالجملة فما

---

(١) هكذا عبارة اتحاف السادة المتقين فى نسخة الشرح التى بيدنا وتراجع على أصلها المنقولة عنه .

كان للروح يصير للذات، وقد زال الحجاب بين الذات الطاهرة وبين الروح الشريفة يوم شقت الملائكة صدره الشريف « صلى الله عليه وسلم » وهو صغير، فى ذلك الوقت وقع الالتحام والاصطحاب بين روحه وذاته « صلى الله عليه وسلم »، وصارت ذاته تطلع على جميع ما تطلع عليه روحه « صلى الله عليه وسلم » فلذا صلى الله عليه وسلم كان يرى من خلفه كما يرى من أمامه وقال صلى الله عليه وسلم لأصحابه رضى الله عنهم : « أقيموا ركوعكم وسجودكم فإنى أراكم من خلفى كما أراكم من أمامى » فهذا سر الحديث والله أعلم .

وقال أيضاً فى قوة السريان ما نصه : وهى عبارة عن إقدار الله تعالى لها على خرق الأجرام والنفوذ فيها ، فتخرق الجبال والجلاميد والصخور والجدران، وتغوص فى ذلك وتذهب حيث شاءت . وإذا سكنت الروح فى الذات وأحبتها واصطحبت معها أمدتها بهذه القوة ، فتصير الذات تفعل ما تفعله الروح اهـ .

وبهذا ظهر كلام الناظم . وهذا بحر لا ساحل له ، ومورد لا أول له؛ ولا يفهم حقيقته إلا أهلها ألو الاختصاص بالحضرة الإلهية ، الذين زالت عنهم حجب النفس الظلمانية وأما إمداد الروح الجسم فبالنسبة للعامة بالحركات إذ هو مفتقر إليها فى ذلك، ولولا الروح لما تحرك الجسم ، فهذا تسلطها عليه بالنسبة للعامة ،

وأما بالنسبة للخاصة فيما ذكر ، ولذا قيل : إن الأجساد مولدة الأرواح .

وما الفخر إلا للجسوم لأنها   مولدة الأرواح ناهيك من فخر

* * *

ثم قال الحبيب نفع الله به :

﴿وذاك من بعد التوجّه التامْ   بكلّ باطنٍ وبكل ظاهرْ﴾

أى حصول تلك الحالة الشريفة لا يكون إلا بعد التوجه التام ، ظاهراً وباطنا : أما التوجه الباطنى فاتصافه باطناً بالزهد ، وهو خلو الباطن من الميل إلى فان ـ وهذا عزيز جداً وفراغ القلب عن السوى ، حتى يخرج العبد عن أفعاله وأوصافه ووجوده ، فلا يرى فعلا إلا فعل المولى ولا وصفا إلا وصف المولى ، ولا وجودا إلا وجود المولى بارئه . ويصير عالم الشهادة غائباً عنه ، وعالم الغيب الذى هو عالم الملكوت شهادة معاينا له بعين البصيرة فلا يزال يقطع الحجب إلى مقام القرب حتى يتحقق له مافى الحديث القدسى : « ولا يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل » الخ . فحينئذ لا يستغرب شىء من الخوارق منه ، إذ من كان الحق سمعه وبصره ولسانه ويده ورجله ، فهو جدير بذلك . ثم إن هذا الحديث من المتشابه ، والسلف يؤمنون به مع التنزيه والتفويض ، والخلف يؤولونه بما يليق . قال سيدى الناظم نفع الله به :

وكن فى أحاديث الصفات وآيها   على مذهب الأسلاف حيث السلامة

وأما التوجه التام ظاهراً فبأن يتحلى بأخلاق القوم ، ويبذل الجهد فى إصلاح ظاهره ، ليكون موافقا لميزان الشريعة بعد تمسكه بآداب الطريقة .

ومن الوسائل : ملازمة الأوراد ، إذ بملازمة العبد لها يحصل له نور يزيل عنه مايحجب قلبه عن الله تعالى ، فإن الخروج من الطبائع والمألوفات ، وظلمات الأوهام القاطعة عن الله تعالى لايكون إلا بملازمة ذكر الله تعالى ، إذ هو الرافع لحجب الهوى عن القلوب ، وبارتفاعها يرتفع العبد إلى أعلى المقامات .

حجاب الهوى عنا متى ذاك يرفع   بوصف انمحاق كى به العبد يرفع

* * *

ثم قال الحبيب نفع الله به :

﴿ الله أكبر هـذه الحقيقةْ   قد أشرقت من مشرق الطريقةْ ﴾

الحقيقة : باطن الشريعة ، وهى ظاهر الحقيقة ، فهما متلازمان فكل شريعة غير مؤيدة بالحقيقة فغير مقبول(١) وكل حقيقة غير مقيدة بالشريعة فغير محصول . ويوضح ذلك : أن الشريعة ماشرعه الله من الأحكام ، من كل ما دلنا عليه الكتاب والسنة أمراً ونهياً وأما الحقيقة : فمشاهدة الربوبية فى جميع الحركات والسكنات ، وذلك شهود الأسماء والصفات ، وشهود الذات وأسرار القرآن

---

(١) أى فأمر غير مقبول . وكذا يقال فيما بعده .

وأسرار المنع والجواز والعلوم الغيبية التى لا تكتسب من معلم ، وإنما تفهم عن الله، كما قال تعالى: ﴿ إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا﴾ أى فهما فى قلوبكم تأخذونه عن ربكم من غير معلم . وقال تعالى : ﴿ واتقوا الله ويعلمكم الله ﴾ أى بغير واسطة معلم ، قاله العارف الصاوى فى بعض مؤلفاته . فقول العبد ﴿ إياك نعبد ﴾ حفظ للشريعة من حيث إضافة العمل إلى نفسه، ورؤيته أنه عامل وقوله ﴿ وإياك نستعين ﴾ اقرار بالحقيقة من حيث تبرؤه من القيام بشىء من عبادته ، وافتقاره فيها إلى عون ربه لشهوده أن الفاعل المختار هو الله تعالى ، وأنه محل ظهور الأفعال .

ومن الحقيقة: مراقبة المولى فى العبادة، فصاحبها من أهل الحقيقة ولهم طريقة أيضاً ، وهى العمل بالواجبات والمندوبات حسب الإمكان ، فهى كناية عن العمل الجارى على وفق الشرع ، وترك المنهيات ، والتخلى عن فضول المباحات . ولها آداب وشروط تطلب من كتب القوم .

قال بعضهم : والأولى أن تعرف الحقيقة بعلم بواطن الأمور، كعلم الخضر بأن مافعله مع موسى من خرق السفينة وغيرها فيه مصلحة .

ثم إنه لا يتوصل إلى الحقيقة إلا بالطريقة التى هى كناية عن العمل حسب الإمكان والتخلى والتحلى . فالحقيقة ثمرة الطريقة ،

ومن ثم قال الحبيب نفع الله به : قد أشرقت من مشرق الطريقة، أى إشراقها من الطريقة كما تقرر ، فمن رام الحقيقة أحكم الطريقة. ومن كلام مالك رضى الله عنه : من عمل بما علم أورثه الله علم مالم يعلم - انتهى . أفاد بهذه الكلمات. الشريعة والطريقة والحقيقة ، فالشريعة بقوله « علم » والطريقة بقوله « عمل » والحقيقة بقوله « أورثه الله علم مالم يعلم » . ولما كان النبى صلى الله عليه وسلم هو الجامع لجميع الكمالات والمقامات ، والمعارف والعلوم والبركات، وهو الواسطة فى كل خير من خيرات الدنيا والآخرة ، وهو الباب الأعظم الذى لايدخل أحد حضرة القدس إلا به صلى الله عليه وسلم أرشد الناظم إلى اتباعه صلى الله عليه وسلم فقال .

* * *

﴿ فامسك أخى بالعروة الوثيقهْ وهْى اتباعكْ سيد العشائرْ ﴾

الفاء أفصحت عن شرط مقدر تقديره : إن أردت الكمالات فامسك بالعروة الوثيقة . « وأخى » منادى بحذف الياء مضاف إلى ياء المتكلم وحصول المطالب الجليلة بسبب الاتباع ظاهر، قال الله تعالى : ﴿ إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ﴾ ومحبة الله للعبد هى المنزلة التى يتنافس فيها المتنافسون ، وإليها تشخص العاملون الملاحظة فى الحديث القدسى « إذا أحببت عبداً .. » الخ (وقوله العروة الوثيقة) أى العروة المحكمة ، فالعالم كله متعلق به صلى الله

عليه وسلم فى الإيجاد والإمداد ، ولا شيء إلا وهو به منوط .
واتباعه صلى الله عليه وسلم هو التمسك بالعروة الوثيقة ، التى من تمسك بها نجا ووصل إلى منتهى السعادات ، ونهاية الغايات .
وبالعمل على طريق الاتباع تشرق الأنوار للعامل ، وبواسطة الأنوار تنشأ علوم الحقائق . وللناظم نفع الله به .

واعلم بأنك لا تفضى إلى وطر — بدون أن تقتفى فى الورد والصدَر
خيرَ النبيين هادينا ومرشدنا — بما أتانا من الآيات والسور

* * *

ثم قال الحبيب نفع الله به .

﴿ محمدُ المبعوث بالهدايهْ — والحق والتحقيق والولايهْ ﴾

(قوله محمد المبعوث بالهداية) هو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، المرسل إلى الإنس والجان ، وكذا الملائكة — أفضل الخلق إجماعاً إلا من شذ كالزمخشرى ، ولا عبرة بما قاله عند أهل التحقيق والباء فى قوله (بالهداية) للملابسة أو المصاحبة ، قال الله تعالى (هو الذى أرسل رسوله بالهدى) والهداية : مصدر هدى ، وهى على قسمين هداية العوام ، وهى اتباع شريعته صلى الله عليه وسلم فى ظاهره : وهداية الخواص ، وهى سلوك طريقته التى هو عليها فى باطنه . ولا تحصل الثانية إلا بالأولى ، والمراد بالحق هنا القرآن ، أو ماطابق الواقع ، وكلا المعنيين يصحان فى هذا المقام ، قال تعالى:

﴿ إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً ﴾ ، وقال تعالى: ﴿ وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم ﴾

(قوله والتحقيق) التحقيق عند علماء الشرع إثبات المسائل بأدلتها ، وذكر الشيء على الوجه الحق . ويرجع معناه المناسب فى حقه صلى الله عليه وسلم إلى إظهار آيات القرآن ، المشتمل على الأدلة التى لاتخفى على كل مسلم المثبتة لوجود واجب الوجود ، وللمعاد والجزاء وغير ذلك مما نطقت به الآيات . فهو صلى الله عليه وسلم مبين للناس ماأنزل إليه على وجه إثبات ذلك بتلاوته على الناس وتبيينه لهم ، قال تعالى : ﴿ هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ﴾.

(قوله والولاية) المراد بولايته صلى الله عليه وسلم : حاله الخاص مع ربه تعالى ، وهو مقام لايناله غيره ، ويشهد لذلك قوله تعالى : ﴿ فكان قاب قوسين أو أدنى . ماكذب الفؤاد مارأى ﴾ وللبوصيرى رحمه الله .

كيف ترقى رقيّك الأنبياء يا سماءً ما طاولتها سماء

فمقامه صلى الله عليه وسلم لايسامى ولا يلحق ، ويسمى فى اصطلاح الصوفيه « بالفيض الأقدس » فكل من نال شيئاً من أولياء أمته المسعودة فمقتبس من نوره الكريم ، ومأخوذ من بحر مدده العظيم .

وكلهم من رسول الله ملتمس   غرْفا من البحر أو رشْفا من الديَم

بل والأنبياء — كما أوضحه غير واحد من علماء الدين — مستمدون منه صلى الله عليه وسلم ، ففي الفتوحات مانصه : أن مستمد جميع الأنبياء والمرسلين من روح سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، إذ هو قطب الأقطاب ، فهو ممد لجميع الناس أولا وآخراً ، فهو ممد كل نبي وولى سابق على ظهوره حال كونه فى الغيب ، وممد أيضاً كل ولى لاحق فيوصله بذلك إلى مرتبة كماله فى حال كونه موجوداً فى عالم الشهادة ، وفى حال كونه منتقلا إلى الغيب الذى هو البرزخ والدار الآخرة، فإن أنوار رسالته صلى الله عليه وسلم غير منقطعة عن العالم من المتقدمين والمتأخرين . فكل نبي تقدم على ظهوره فهو نائب عنه فى بعثته بتلك الشهادة - انتهى

قال بعضهم : ينبغى لمن زار ولياً من أولياء الله أن يستحضر استمداده من حضرته صلى الله عليه وسلم ، فيكون بذلك زائراً له صلى الله عليه وسلم . ولا يخفى أن القطب الموجود فى كل زمان — كما يقول أهل البصائر — وهو المسمى بالغوث باعتبار الالتجاء إليه هو مستمد من فيوضات نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو كالنائب عنه وهذا معلوم عند أجلاء المسلمين : وصرح بذلك الناظم نفع الله به فى قصيدته اللامية التى قالها فى وصف القطب . ولنوردها . قال نفع الله به :

أهلا وسهلا بالحبيب الواصل ... من بعد ما نامت عيون العاذل

أحييتنى بالقرب منك و باللقا ... من بعد موتى بالبعاد القاتل

يا من هواه وحبُّه ووداده ... سكن السويدا من فؤادى الداخل

أنت المراد وأنت غاية مطلبى ... من كل عال فى الوجود وسافل

لاحت بروحى صبوة وصبابة ... بجمالك الفرد البديع الكامل

فغدوتُ ما بين الأنام مدلَّها ... وموَلَّها فى حال صَب ذاهل

ذهبت به السكرات من خمر الهنا ... والأنس لا من كأس خمر الباطل

فتراه فانٍ[1] عن عوالمَ حُسَّدٍ ... لا يستفيق لقول ضِدٍّ عاذل

فاشرب شراب العارفين الأوليا ... ء الجامعين لكل وصفٍ فاضل

واُخضع لساقيهم وقطب مدارهم ... وإمام سالك سُبْلهم والواصل

غوث البرية كلها ومفيدها ... عن إذن سيده الكريم العادل

إلى أن قال :

يمتد من بحر البحور محيطها ... خير الأنام بعاجل و بآجل

* * *

ثم قال الحبيب نفع الله به .

﴿إنسان عين الكشف والعنايهْ ... وروح معنى جملة المظاهرْ﴾

* * *

« إنسان » خبر مبتدأ محذوف تقديره : هو إنسان العين ،

---

(١) كذا : الأصل .

أى حدقتها ، وهو المثال الذى يرى فى سوادها . ففى الكلام استعارة بالكناية ، حيث شبه الكشف وكذا العناية ـ بإنسان ذى عين والنبى ناظر تلك العين، وطوى ذكر المشبه به ورمز له بلازمه وهو عين . « وإنسان » : ترشيح والجامع إدراك كل منهما لحقائق الأشياء من عوالم الملك ، كما يدركها بالكشف من عوالم الملكوت وعلوم الغيوب . فهو صلى الله عليه وسلم أجل المصطفين، وأكمل المرسلين المظهرين على الغيوب ، قال تعالى : ﴿ فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول﴾ وفى قوله (والعنايه) استعارة مكنية ، لأنها شبهت بشخص له عين كما يقتضيه العطف ، إذ المعنى وإنسان العناية أما كونه صلى الله عليه وسلم إنسان عين الكشف فلما أطلعه الله عليه من علم الأولين والآخرين ، ومن جملة علومه علم اللوح والقلم، فقد أودعه الله علوماً لا تتجلى عرائسها إلا عليه، ومنها علوم اللوح المحفوظ ، وهى إلى أن يدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار . ولم يخرج من الدنيا صلى الله عليه وسلم حتى أطلعه الله تعالى على جميع ماأبهمه عليه من الروح وغيرها مما يمكن علم البشر به لاعلى جميع معلوماته تعالى ، والا لزم مساواة الحادث للقديم . وما خالف ذلك نحو ﴿ ولا أعلم الغيب ﴾ محمول على أنه كان قبل أن يكشف له عن ذلك ، وما تقدم أنه لم يخرج من الدنيا حتى أطلعه الله على ما أبهمه عليه ـــ هو الذى يشهد له العقل ، ويستفاد من النقل ، فقد أمره المولى سبحانه وتعالى بأن يقول :

﴿ رب زدني علما ﴾ وبه يتبين أنه لم يزل في كل نفس مترقياً في الكمالات والعلوم التي لا تتناهى ﴿ حقق ذلك بعض العارفين ﴾ .
وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم « أورثني ربي علوماً شتى ، فعلم أخذ على كتمانه ، وعلم خيرني فيه وعلم أمرني بتبليغه إلى الخاص والعام »

ومن هذا النوع — أعني الكشف — ما أخبر بوقوعه صلى الله عليه وسلم من الغيوب التي اطلع عليها ، فمنها ما وقع في حياته ، ومنها ما وقع بعد وفاته صلى الله عليه وسلم : وكتب الأحاديث والسير طافحة بذلك . وهذا من جملة معجزاته صلى الله عليه وسلم ، المعلومة على وجه القطع ، وطريق اليقين المتواتر خبرها .

ومما ينبغي أن يعلم : أن الكرامات الصادرة من الأولياء (ومنها إخبارهم بالغيوب) تمتاز عن المعجزة ، إذ الخارق الذي يكون معجزة إنما هو إن صدر من نبي للتحدي وحينئذ يسمى معجزة ، لا إن صدر من غير نبي ، والفرق حينئذ واضح ، فاندفع قول المعتزلة : بأن الكرامات تشبه المعجزة توصلا إلى إنكار الكرامات ، وهي ثابتة بالعقل والنقل عمن يعول عليه من المسلمين.

(قوله والعنايه) أي وإنسان عين العناية ، والمراد بها المقامات العلية ، والمواهب الربانية المخصوصة به صلى الله عليه وسلم .

(قوله وروح معنى جملة المظاهر) المظاهر : هي الكائنات ،

فالنبي صلى الله عليه وسلم سره سار فى المظاهر كسريان الروح فى الجسد ، وشاهده حديث عبد الرزاق بسنده عن جابر رضى الله عنه قال : قلت يارسول الله ، بأبى وأمى ! أخبرنى عن أول شىء خلق الله تعالى قبل الأشياء ؟ قال : « ياجابر ، إن الله خلق قبل الأشياء نور نبيكم محمد من نوره ، فجعل ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء الله تعالى ، ولم يكن فى ذلك الوقت لوح ولا قلم ، ولا جنة ولا نار ، ولا ملك ولا سماء ولا أرض ، ولا شمس ولا قمر ، ولا جنى ولا إنسى . فلما أراد الله تعالى أن يخلق الخلق قسم ذلك النور أربعة أجزاء : فخلق من الجزء الأول القلم ، ومن الثانى اللوح ، ومن الثالث العرش . ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء . فخلق من الأول حملة العرش ، ومن الثانى الكرسى . ومن الثالث باقى الملائكة . ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء ، فخلق من الأول السموات ، ومن الثانى الأرضين ومن الثالث الجنة والنار . ثم قسم الرابع أربعة أجزاء فخلق من الأول نور أبصار المؤمنين ، ومن الثانى نور قلوبهم ، وهى المعرفة بالله عز وجل ، ومن الثالث نور أنسهم ، وهو التوحيد « لا إله إلا الله محمد رسول الله » .

وفى هذا إشكالان : الأول ـ أن الحقيقة الواحدة لا تنقسم ، وليست الحقيقة المحمدية إلا واحدة من تلك الأقسام . (الثانى) ـ إن أريد نور حادث فى قوله (من نور الله) كان قبله نافى أنه أول

المخلوقات ، وأن الأنوار من نوره وغيرهذا لا يعقل. والجواب عن الأول - أنه لما كان النور المحمدى أول الأنوار الحادثة ، أشرقت منه أنوار الحقائق فاستنارت بنوره تنوراً كاملا بحسب ماتقتضيه حقيقتها ، فظهر النور مظهر الانقسام ، فحصل فى الوجود الحادث نوران : مفيض ومفاض ، وفى الحقيقة ليس هناك إلا نور واحد، أشرق فى مقابلة الاستنارة ، فتنور بتعددات المظاهر ، وكلها راجعة إلى النور الأول الحادث إما بواسطة أو بدونها . وأقرب مثال يضرب لك : نور المصباح الذى فى البيت الكبير فتصبح منه مصابيح كثيرة ، وهو فى نفسه باق على ماهو عليه لم ينقص منه شىء . قاله بعض شراح الدلائل . (والجواب عن الإشكال الثانى) مانقله سيدى عبد الرحمن بن مصطفى العيدروس فى بعض مؤلفاته عن بعضهم : أن الإيجاد إظهار (قال) : فالمعنى والله أعلم أظهره من ظهوره أى أظهره بلا واسطة بخلاف غيره ، إذ معنى اسمه النور : الظاهر بنفسه ، المظهر للأشياء - انتهى باختصار .

قال بعضهم : ولا يشكل بأن النور عرض لا يقوم بذاته ، لأن هذا من خرق العوائد ، والإضافة فى قوله (من نوره) من باب الإضافة التشريفية والإشعار بأنه خلق عجيب ، وأن له شأناً مناسباً على حد قوله تعالى : ﴿ ونفخ فيه من روحه ﴾ اه .

وهذا آخر مايسر الله كتابته على هذه الأبيات ، ونستغفر الله

العظيم مما ارتكبناه من الخطيئات ، سائلين منه التوفيق لصدق التوجه إليه قبل الممات ، مصلين ومسلمين على نقطة الوجود ، أجل حامد وأفضل محمود، صاحب المقام الأجلى، والسر الأعلى .

اللهم ياواصل المنقطعين، وموصل السالكين: أوصلنا بفضلك إلى مواطن الإسعاد ، وأدخلنا برحمتك ومحض فضلك فى زمرة الصالحين من العباد ، وصل على سيدنا محمد خير الأنام ، وعلى آله وصحبه البررة الكرام ، ماحمد حامد على الإكمال والإتمام ، ولاح نجم فى الظلام ، وفاح مسك الختام .

وقد تم تسويد هذه الوريقات فى يوم ٢٧ من شهر صفر الخير سنة ١٣٢٠ عشرين وثلثمائة وألف من هجرة من له العز والشرف صلى الله عليه وسلم .

* * *

تقريظ

وقد قرظ هذا الشرح العلامة العارف بالله « أبو عبد الله على ابن محمد بن الحسين الحبشى » وقال حين اطلع عليه « نفس مبارك بارك الله فى « أحمد » ومتع به » .

وكذا قرظه العلامة الفاضل الشيخ عمر بن عبد المحسن الكردى المدنى الخطيب بالمسجد النبوى تقريظا مطولا قال فى خاتمته :

شرحتَ صدورَ القوم يا ابن إمامها — بشرح شفاها بل طفى لأوامها

فلله شرح قارنَتْه فضيلةٌ — كما قارنت منظومةً فى انتظامها

لأرجوزة لم تُلْفِ غيرك كافلاً .. — لحلّ معانيها ونيل مرامها

لئن زفّها بكراً عروساً أبٌ لها — فإنك قد نصَّبتها فى مقامها

وأمهرتها أىَّ النُّثار لآلئاً — ففاقت على أترابها فى احتشامها

وزوَّجتها من قومها بابن عمها — لها خير كفء من كريم كرامها

تبدّى سناها من سَنىٍّ معارف — رشفنا رحيق الذوق عند ابتسامها

سكرنا فخرنا فاستضاءت عقولنا — بضوء سناها واستضاءت رحابها

فشكراً أبا بكر لأيدى معارف — عوارفها قد فاض فيض غمامها

تدوم وتبدى ما حييتَ فضائلاً — بها الشكر يبقى والثنا بدوامها

تم الكوكب الزاهر

ويليه للمؤلف

منهج الفضائل . ومعرج الأفاضل

منهج الفضائل ومعرج الأفاضل

للعلامة الفهامة علم الشريعة والحقيقة
السيد أحمد بن أبي بكر بن سميط
رحمه الله
م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى اصطفى لمحبته من شاء من أوليائه ، ووسع لهم بفضله جزيل آلائه ، وزين لهم كنز الهداية وحسن بهائه ، وفتح لهم بعزائمه دوائر نفوسهم الزكية ، فشاهدت أرواحهم جلال الربوبية . بعد أن تجردت عن حجب العلائق العنصرية ، وتخلت عن صفات الرذائل الحيوانية . وتحلت بالصفات المقدسة الملكية والصلاة والسلام على علة الوجود ، ومنبع الفيض والجود : سيدنا محمد صاحب المقام المحمود ، والحوض المورود ، صلى الله عليه وعلى آله أئمة الحضرات والشهود ، وعلى أصحابه الموفين بالعهود .

(أما بعد) - فهذا شرح لطيف على المنظومة الحائية لسيدى قطب الإرشاد ، العارف بالله : الحبيب عبد الله بن علوى بن محمد الحداد الحسينى ، نفعنا الله به وبعلومه . قصدت به إيضاح مقصود الناظم بعباراته ، وفك رموزه وإشاراته ، حسبما يظهر لى من كلام العارفين . ولست أهلا لهذا الشأن ، ولا من فرسان هذا الميدان ، ولكن التشبه بأهل الفلاح فلاح ، والتطفل

على موائد الكرام نجاح ، وإلى الله تعالى أضرع فى الهداية إلى أقوم طريق ، والسلوك إلى منهج أولى التحقيق . وهذه المنظومة من البحر الوافر ، وأجزاؤه (مفاعلتنْ مفاعَلَتُنْ فعولنْ) وجاء موافقاً له من آى الكتاب العزيز ﴿ أَلاَ بُعْداً لعَادٍ قوم هود ﴾ .

* * *

قال الحبيب نفعنا الله به وبعلومه آمين .

﴿ أحِبَّتَنَا بنجدٍ والصفيحِ مَرَاهِمُ كلِّ ذى قلْبٍ جَريحِ ﴾

قوله « أحبتنا » بالنصب منادى بحذف ياء النداء ، أى يا أحبتنا . و «نجد» أرض معروفة مرتفعة. ويقال لكل ماأشرف من الأرض : نجد ، والعارفون يكنون به عن الجسم الطبيعى المطهر عن الأخلاق الذميمة . و « الصفيح » : من أسماء السماء ، ولذا يقال : ملائكة الصفيح الأعلى . والمراد بالأحبة هنا : الأولياء العارفون المتجردون عن العلائق الطبيعية ، المرتفعون عن أرض الشهوات النفسانية إلى سماء التجليات الروحانية .

قوله « مراهم كل ذى قلب جريح » المراهم : جمع مرهم ، وهو مايداوى به . والمراد بالقلب الجريح : القلب الذى تراكمت عليه المعاصى فصيرته قاسياً . والكلام على التشبيه البليغ، والأصل كمراهم كل ذى قلب جريح ، لأنهم الحكماء العارفون بالطب الروحانى ،

فيداوون بطبهم القلوب المريضة ، إذ لهم خبرة بأدواء القلوب من الغش والحقد والحسد وحب الرياسة ونحو ذلك . وهم أدلاء الناس على الله تعالى بأقوالهم وأفعالهم ، فمتى أراد المولى سبحانه وتعالى لعبده خيراً أوصله إلى هؤلاء الأولياء العارفين ، ورزقه التأدب بآدابهم ، والتخلق بأخلاقهم .

قال فى الحكم : « سبحان من لم يجعل الدليل على أوليائه إلا من حيث الدليل عليه ، ولم يوصل إليهم إلا من أراد أن يوصله إليه » - انتهى . بل ملاقاتهم والاجتماع بهم من أنفع الوسائل إلى المآمل ، إذا كان ذلك مع الانكسار والتخضع ، وتحسين العقيدة قال ابن بنت الميلق :

ونظرة منه إن صحّت إليه على سبيل ودٍّ - بإذن الله - تُغْنِيهِ

قال شارحها ابن علان : أى نظرة من الولى إن صحت للطالب على سبيل المحبة بإذن الله رفعته من عالم الطبيعة إلى عالم القلب ، وأخرجته من ظلمة عالم الملك إلى نورية عالم الملكوت - انتهى . وهذه هى الرابطة المعروفة عند المشايخ و « مراهم » خبر مبتدأ محذوف تقديره أنتم .

* * *

ثم قال الناظم نفع الله به .

﴿ عسَى عطفٌ على دَنِفٍ كئيبٍ حزينِ القلبِ منكسرٍ طريحِ ﴾

« عسى » هو جواب النداء ، وما بينهما اعتراض . والمعنى : أطلب منكم عطفة ، وألتجىء إلى طلب الانعطاف منكم فأنتم أهل الإنجاد والإسعاد . و « دنف » ـ بفتح الدال المهملة وكسر النون صفة مشبهة على وزن فرح ، من ثقل فى مرضه ، والمرض هنا من الحب . والكئيب : فعيل من الكآبة وهى الحزن .

* * *

ثم قال الناظم نفعنا الله به .

﴿ وهلْ من رحمةٍ منكم لصَبٍّ صَباَ قِدَماً إلى الأوْجِ الفسيحِ ﴾

قوله « هل » اعلم أن من أدوات الاستفهام الهمزة وهل ، فالهمزة تكون لطلب التصور ، أى حصول صورة الشىء فى الذهن كقولك : أدبس فى الإناء أم عسل؟إذا كنت عالماً بحصول شىء فى الإناء طالباً تعيينه . فالسؤال بها لطلب التصور ، وتكون لطلب التصديق ، أى إدراك وقوع نسبة تامة بين شيئين أو لا وقوعها كقولك . أقام زيد ؟ إذا كنت تصورت زيداً والقيام والنسبة بينهما ، وسألت عن وقوع القيام منه هل هو محقق خارجا أم لا . فإذا قيل : قام ، حصل التصديق به ، والحاصل : أن السائل بها عالم بأن بينهما نسبة ملتبسة بالوقوع . أو بلا وقوع،ويطلب تعيين ذلك وأساس ذلك أن العلم ، إما تصورى أو تصديقى ، فالعلم التصورى

هو إدراك الشيء مفرداً ، كإدراك معنى زيد فقط . والتصديقى : إدراك النسبة ، كإدراك أن زيداً قائم أو جالس .

« وأما هل » فلطلب التصديق فقط ، أى طلب إدراك النسبة كقولك: هل قام زيد؟ إذا كنت عالماً بزيد وبالقيام بأن تصورتهما والتبس عليك الأمر فسألت عن وقوع القيام . وهنا قد علم الناظم أن هناك رحمة وسأل عن وقوعها فقال : وهل من رحمة الخ أى هل من رحمة منكم تداوون بها الصب الدنف الحزين ؟ وأنتم أطباء الأرواح والقلوب المريضة .

(والصب) : هو العاشق (والأوج) ضد الحضيض وأوج الجبل : أعلاه (وصبا) : فعل ماض من الصبوة ، والمراد بها الطرب الذى وقع للأرواح فى عالم الذر عند سماع الصوت الذى لا يكيف وهو ﴿ألست بربكم﴾ وذلك كما فى الإبريز: أن الأرواح لما اجتمعت أسمعها البارى جل وعلا خطابه الذى لا يكيف وقال ﴿ ألست بربكم ﴾ فأما أهل السعادة فاستجابوا لربهم مع الفرح والسرور . وهناك ظهر تفاوتهم فى الاستجابة واختلاف مراتبهم فى المشاهدة . وأما أهل الشقاوة فإنهم لما سمعوا الخطاب تكدروا وأجابوا كارهين ، ثم نفروا نفرة النحل إذا دخن عليه ، فحصل لهم ذلة وانكسفت أنوارهم ، وظهر المؤمن من الكافر فى ذلك اليوم . وإلى ما حصل للأرواح فى عالم الذر أشار العارف عمر ابن الفارض بقوله :

شربنا على ذكر الحبيب مُدامةً　　سكِرنا بها من قبلِ أن يُخلَق الكرْمُ

* * *

ثم قال الناظم نفعنا الله به :

﴿ له رُوحٌ تَحِنُّ لخير عَهْدٍ　　بمعهدها الأنيس من السُّفوحِ ﴾

أى للصب المذكور روح شأنها أن تحن وتشتاق لخير عهد ، وهو المأخوذ على كل نسمة فى عالم الذر ، كما قال تعالى : ﴿ وإذْ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى . . ﴾ الآية . وقد اختلف العلماء فى موضع أخذ العهد على أقوال أصحها : أنه فى نعمان الأراك كما قال الناظم نفعنا الله به آمين .

* * *

﴿ بنَعمان الأراك وأىُّ أخذٍ　　فقل لى عنه بالقول الصحيحِ ﴾

« نعمان الاراك » : واد بجنب عرفة : ذكر المفسرون فى قوله تعالى : ﴿ وإذ أخذ ربك ﴾ الخ أنه موضع أخذ العهد ، وأن المولى سبحانه وتعالى مسح ظهر آدم واستخرج منه ذريته كهيئة الذر ، وأخذ عليهم العهد بربوبيته تعالى ، والوقوف على هذه المسألة يعسر جداً على غير أهل الكشف . وأنكر المعتزلة هذا الميثاق من أصله ، واحتجوا بوجوه ذكرها العلماء - وقد أجيب عن تلك

الوجوه بما يدحضها ، واستيفاء الكلام عليها فى هذا المطلب يخرجنا عن حد الاختصار . وقد اتفق أهل الشريعة والحقيقة من أهل السنة والجماعة على وقوع هذا العهد ، ولا عبرة بغيرهم ممن خالفهم ، والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم . وللناظم فى تائيته الكبرى :

ومسح يد الرحمن ظهر صفيّه فأخرجهم كالذّر يوم الشهادة
فأشهدهم والكل منهم مسبِّح هناك وبعد الأمر نافٍ ومثبت
وسرّاً خفيّاً خار فيه أولو النهى على صورة للصورة الآدميَّةِ

قال العارف بالله عبد الوهاب الشعرانى : ومعنى مسح ظهره أنه أمر سبحانه وتعالى بعض الملائكة بالمسح ، فنسب ذلك لنفسه لأنه بأمره ، كما يقال : مسح السلطان طين البلد الفلانى - وما مسحه إلا أعوانه ، فإن الرب سبحانه وتعالى مقدس عن مسح ظهر آدم على وجه المماسة ، إذ لا يصح اتصال بين الحادث والقديم. وقول الناظم فى هذه الأبيات وسرا خفيا . . ألخ هو قوله صلى الله عليه وسلم : « إن الله خلق آدم على صورته » وقد تكلم العلماء فى معنى هذا الحديث بما يزيل الشبهة ، فمما قالوه : إن المراد هنا بالصورة أن الله تعالى جعل آدم يفعل بأمره تعالى ما شاء الله له . فهذا هو معنى الصورة(١) وذكر الجلال السيوطى : أن الحديث

(١) وفى رواية أخرى: على صورة الرحمن أى على الصورة التى صورها الرحمن=

وارد على سبب . وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى شخصاً يلطم مملوكه على وجهه فقال : « لا تفعل هذا فإن الله خلق آدم على صورته فينبغى لك إكرام صورته » انتهى . فهذا هو المراد بالصورة والله أعلم .

* * *

ثم قال الناظم :

﴿ ومِلْ بى يَمْنَةً عن طَوْر نفسٍ   إلى طور السّرائر والمنوح[1] ﴾

قوله : « مل » فعل أمر لكل من صلح للخطاب . وقوله « عن طور نفس » هو بفتح الطاء ، وله معان منها ـ وهو المتعين هنا ـ : الحوم حول الشىء ، إذ القصد النهى عن الركون إلى النفس . وأما قوله « إلى طور السرائر » فهو بضم الطاء . والطور ـ بالضم ـ : اسم للجبل الذى كلم الله عليه موسى عليه السلام استعاره الناظم للقلب الذى هو محل لتجليات الأسرار ، كما أن الجبل المذكور محل ذلك التجلى .

ومعنى البيت : اعدل بى أيها المخاطب عن الحوم حول النفس : أى مجتنباً عن مقتضياتها ، قاصداً إلى طور السرائر والمنوح .

= فى العرش أو اللوح قبل خلق آدم عليه السلام فإن الله تعالى لاصورة له لمباينته لخلقه ولكل ماخلق الله صورة مخصوصة فى ساق العرش أظهرها الله قبل تكوينهم اهـ :

(1) السرائر : جمع سر ، وهو ما يكتم كالسريرة .

وأراد بالمنوح هنا : العطايا على خلاف القياس من منح - وبالنفس هنا : المعنى الجامع لقوتى الغضب والشهوة ، وهو أحد معانى النفس التى ذكرها حجة الإسلام الغزالى وغيره من العلماء . ومراد الصوفية(١) حيث يقولون بمجاهدة النفس وغير ذلك ، ولذا طلب الناظم التخلص عنها من حيث صفاتها المذمومة وطلب المصير إلى طور السرائر ، والمراد به هنا : اللطيفة المدركة من الإنسان العالمة المتحلية بصفاتها المحمودة(٢) وهى هنا صفات النفس المطمئنة التى خرج صاحبها من عالم جنسه ووصل إلى مقام قدسه ، الصالحة لأن يقال لها : ﴿ يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية مرضية ﴾ وحينئذ تغلب عليها صفات الروح الزكية ، العائدة إلى فطرتها الأصلية ، وهى التحلى بالصفات الملكية . ويصح أن يقال لها حينئذ : القلب الذى هو محل النور الفائض من خطاب ﴿ فاعلم أنه لا إله إلا الله ﴾ والاستقرار الموعود به بقوله تعالى : ﴿ ألا بذكر الله تطمئن القلوب ﴾ وهذه الثلاثة : أعنى القلب ، والنفس والروح ، عند محقق الصوفية بمعنى واحد ؛ كما فى الرسالة القشيرية . إلا أن النفس باعتبار صفاتها الحيوانية من الشهوة والغضب أمارة بالسوء ، وهى التى طلب الناظم الميل

---

(١) أى وهو مراد الصوفية الخ .

(٢) وهى المعبر عنها بالقلب ، وليس المراد به اللحم الصنوبرى المعروف المشاهد فى الأجسام .

عنها ؛ فإذا ارتفعت عن تلك الصفات الحيوانية إلى الصفات الإنسانية ، تصير نفساً لوامة ، وهى التى تأمر بالمعاصى ؛ لكن تلوم صاحبها وتتوب ، فإذا تخلقت بالأخلاق المحمودة الروحانية ، صارت مطمئنة ، وصح أن يقال لها طاهرة ، وحينئذ هى مناط العلوم والمعارف ، ومجلى الفكرة المستقيمة . فعلم أن اختلاف هذه الأسامى بحسب الاعتبارات .

* * *

ثم قال الناظم نفعنا الله به :

﴿ لعلّى أن أنادَى من قريبٍ   فما المعطِى ــ تعالَى ــ بالشحِيح ﴾

أى لعلى بسبب الميل إلى طور السرائر المراد به النفس المطمئنة(١) أن أنادى من قريب . ومعنى الميل إليها : مجاهدة النفس حتى تزول صفاتها ، وتتطهر باطناً من جميع الآفات وخبائث الصفات ، وتستنير سريرة الباطن بأنوار المكاشفات والملاطفات ، بعد التمكن من المجاهدات والأعمال والعبادات ، وتصير وطنه ، ويستلذ بها بقلبه ، ويجد لها حلاوة ، ويسقط عنها التعب . ثم إن جهاد النفس هو الجهاد الأكبر كما فى الحديث : « رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر » أراد به صلى الله عليه وسلم جهاد

(١) مقتضى ما سبق أن يقول : المراد به القلب ، ولكن لكونه متصفاً بصفات النفس المطمئنة عبر بما ذكر فتأمل .

النفس . وإنما كان أكبر لأنها خداعة ، وعدو خفى بين جنبى الإنسان . والشيطان مقترن بها ، يجرى من ابن آدم مجرى الدم ؛ فالجهاد منها جهاد أكبر ، قال تعالى : ﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ﴾ قال المفسرون : المراد جهاد النفس والشيطان . وقال تعالى : ﴿ وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى . فإن الجنة هى المأوى ﴾ ومن ثم كان مقام مخالفة النفس أصعب ما يكون على السالك فى طريق معرفة الله تعالى . وما جعل العلماء الرياضة إلا علاجا للنفس لتنكف عن شهواتها ، وتقل غفلاتها ، وتنقبض عن مألوفاتها . ذكر عند سهل بن عبد الله رضى الله عنه الكرامات فقال : وما الآيات ! وما الكرامات ! هى أشياء تنقضى بوقتها ، ولكن أكبر الكرامات أن تبدل خلقا مذموماً من أخلاق نفسك بخلق محمود ـ انتهى .

والمراد بالقريب فى قول الناظم : المولى سبحانه وتعالى ، فإنه قريب مجيب ، وهو من أسمائه تعالى . ويحتمل أن يكون صفة لمحذوف تقديره : من مكان قريب ، لما يأتى قريباً من أن النفس إذا زال عنها الحجاب سمعت النداء من مكان قريب ، وهو معنى قوله جل شأنه : ﴿ يأيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية مرضية ﴾ فلأهل الإشارات فى هذه الآية تفاسير ، منها ما فى تفسير العلامة الصاوى : أن الله تعالى يناديها فى الدنيا بهذا النداء ، حيث اتصفت بتلك الصفات يقول لها : يأيتها النفس

المطمئنة ارجعي إلى ربك بفنائك عما سواه ، راضية بأحكامه ، مرضية له بأوصافك ، فادخلي في عبادي الصالحين ، أي فكوني معدودة فيهم ، ومحسوبة منهم ، وادخلي جنة شهودي في الدنيا مادمت فيها ، وهي الجنة المعجلة . ويقال لها ذلك أيضاً عند البعث . ويراد بالجنة حينئذ : جنة الخلود . وفسروا بذلك قوله تعالى : ﴿ ولمن خاف مقام ربه جنتان ﴾ أي جنة الشهود في الدنيا التي قال فيها العارف بالله عمر بن الفارض رضي الله عنه :

أَنِلْنا مع الأحباب رؤيتك التي إليها قلوبُ الأولياء تُسارِع

وجنة الخلود في العقبي . وهذا النداء يسمعه العارفون إما في المنام ، أو بالإلهام - انتهى مع تصرف .

وبهذا يظهر كلام الناظم . ومن المعلوم أنه لا تحصل هذه المرتبة لأحد إلا بعد مجاهدة النفس مجاهدة تذهب ظلمات الغفلات لتضعف وتقوى الروح التي هي محل الأسرار ، ولذا طلب الناظم الميل عن هذه النفس المبعدة عن الحضرات الإلهية بما لها من الصفات المذمومة ، كي ينال المراتب العلية ، ويكون من المخصوصين بهذا النداء المقدس المعنوي ، مستوثقاً بعروة وعده تعالى : ﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ﴾ قال شارح الحكم بعد أن ذكر ما ذكر من أنواع المجاهدات ما نصه : فإذا جوهدت النفس بهذه المجاهدات ، وقوتلت بهذه المقاتلات ، رجعت عن جميع

مألوفاتها الدنية ، وعاداتها الردية ، وزال عنها النفور والاستكبار ، ودانت لمولاها بالعبودية والافتقار ، وزكت أعمالها ، وصفت أحوالها ، وهذه هى خاصيتها التى خلقت لأجلها ، ومزيتها التى شرفت من قبلها . وإنما ألفت سوى هذا لمرض أصابها من الركون إلى هذا العالم الأدنى ، والإنس بالشهوات التى تزول وتفنى ، حتى امتنع عليها ما خلقت لأجله من موجب سعادتها ، وغاية شرفها وإفادتها . فلما تعالجت بما ذكرناه ، عادت إلى الصحة ، وإلى طبعها الأصلى . فألفت العبودية والتزمتها وصارت بذلك مطمئنة صالحة ، لأن يقال لها ﴿ يأيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية مرضية . فادخلى فى عبادى . وادخلى جنتى ﴾ .

وفيه أيضاً : قال الشيخ العارف أبو محمد عبد العزيز المهدى : النفس المطمئنة هى التى تخلصت من السوء ، ولم يبق بينها وبين السوء نسبة ، وكانت مباديها فى الاكتساب : الإيمان والرضاء المكتسب ، فلما صفت وتطهرت من جميع المخلوقات ، وزال عنها الحجاب الذى هو صفة الخلق ، سمعت النداء من مكان قريب ، فأجابت لعدم الحجاب ، فخرجت للمواهب والرضاء الوهبى الوصفى ، الذى قال فيه : ﴿ رضى الله عنهم ورضوا عنه ﴾ فدخلت فى رضاء الله المطلوب الموهوب ، وفى عباده وجنته ، لا فى جنتها بوصف كسبها وأعمالها ـ انتهى .

(وقول الناظم « فما المعطى تعالى بالشحيح ») الفاء للتعليل ، والمعنى : ارتجى ما أرتجيه ، لأن المعطى وهو المولى سبحانه وتعالى ليس بالبخيل ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ! وتنزه عن سمات النقص ، واتصف بكل كمال . كيف لا ! وهو أكرم الأكرمين ، المتفضل بالنوال قبل السؤال ، فلا يخيب من إليه التجأ ، وتعرض لمعروفه ورحمته الواسعة . قال حجة الإسلام الغزالى رحمه الله فى الاحياء ، فى قوله تعالى : ﴿ ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها ﴾ ما نصه : وهذه الرحمة مبذولة بحكم الجود والكرم من الله سبحانه وتعالى ، غير مضنون بها على أحد ، ولكن إنما تظهر فى القلوب المتعرضة لنفحات الله - إلى آخر عباراته .

* * *

ثم قال الناظم نفعنا الله به آمين :

﴿ ولكنَّا حُجِبْنَا بالأمانى مع الكَوْن الكثيفِ مع النُّزوحِ ﴾

أى لم يحجبنا المعطى وهو الله سبحانه وتعالى ، عن دخول جنة المعرفة المعجلة لأوليائه فى الدنيا ، وعن مشاهدة أنوار العلوم اللدنية ، التى هى غاية أمنية العارفين لبخل منه ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً . ولكن حجبنا بالأمانى ، وبالكون والنزوح وهو البعد ، وإلا فهى مبذولة لمن تعرض لها بقلب طاهر نقى عن الخبث ، والكدورة الحاصلة من الأخلاق المذمومة ، فنى الإحياء

ما حاصله : إن أنوار العلوم لم تحتجب عن القلوب لبخل ومنع من جهة المنعم، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ! قال: ولكن حجبت لخبث وكدورة وشغل من جهة القلوب ، فإن القلوب كالأوانى ، فما دامت ممتلئة بالماء لا يدخلها الهواء ، والقلوب المشغولة بغير الله لا تدخلها المعرفة بجلال الله ، ولولا شغلها بغيره تعالى لارتفع عنها الحجاب ، وإليه أشار صلى الله عليه وسلم بقوله : « لولا الشياطين يحومون على قلوب بنى آدم لنظروا إلى ملكوت السماء » انتهى .

والمراد بالأمانى : المطامع المذمومة ، وهى من أعظم الحجب التى تفضى بصاحبها إلى الردى ، قال الشاعر :

وإياك المطـــامعَ والأمانى ۝ فكم أُمنيَّةٌ جلَبت مَنِيَّهْ

وذلك أن الطمع مما يفسد الدين ، وصاحبه مفلس من أنوار اليقين الذى هو أصل الإيمان .

وبالجملة ، فالطمع من آفات النفوس وعيوبها القادحة فى عبوديتها ، بل هو أصل جميع الآفات ؛ لأنه محض تعلق بالناس والتجاء إليهم ، وكل ذلك عائق وقادح .

والمراد بالكون : المكونات، وهى الموجودات ، فهى حجاب عن الشهود ، ولذا وصفه بالكثافة . وإنما كان الكون حجابا لأن الناس - كما فى شرح الحكم للعارف الشرقاوى -

لا يشهدون عند نظرهم للأكوان إلا هى ، ولا يشهدون مكونها، مع أنها لا وجود لها بل هى عدم محض من حيث ذاته تعالى ، وإنما الوجود الحقيق لله تعالى ، وما سواه لا يوصف به عند العارفين ، إذ هم لم يشهدوا غير الله تعالى لما حققهم به من شهود القيومية وإحاطة الديمومية ، ومن ثم قال ابن عطاء الله : مما يدلك على وجود قهره سبحانه أن حجبك بما ليس بموجود معه ؛ مشيراً إلى أن الكون عند العارفين عدم محض غير موجود مع وجود الحق ، ومع ذلك هو حجاب ، وكان هذا مما يقضى العجب منه . وقال ابن عطاء الله أيضاً على سبيل التوبيخ ، متعجباً من إشراق القلب مع انهماكه فى الأكوان : كيف يشرق قلب صور الأكوان منطبعة فى مرآته ؟ ! وهو على سبيل الاستفهام الإنكارى . أى لأن إشراق القلب بنور الإيمان واليقين مضاد للظلمة التى استولت عليه من ركونه إلى الأغيار والأعيان واعتماده عليها .

وبما تقرر ظهر ما قاله الناظم نفع الله به من أن احتجاب الأسرار عن القلوب سببه الأمانى والكون الكثيف من حيث الركون إليه كما تقرر .

والنزوح : هو البعد عن الله تعالى لا لبخل منه ؛ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ! ومما يوضح هذا كلام أبى سليمان الذى سمعه منه أبو الحوارى قال : سمعت أبا سليمان يقول : إذا اعتادت النفوس على ترك الآثام جالت فى الملكوت - انتهى .

وحقيقة البعد المرادة عند أهل الله : الوقوع فى المخالفات ، وارتكاب الآثام ، فتلك من أعظم الحجب ، بل من القواطع الموانع

* * *

ثم قال الناظم رضى الله عنه :

﴿ فهيّا بالقلوب إلى حِماها ومَغناها وموطنِ كل روُحٍ ﴾

«هيا» اسم فعل ، بمعنى : سوقوا القلوب إلى حماها ، وارجعوها إليه . والمراد بحماها : مركزها ومستقرها من العالم الروحانى ؛ فهو موطن كل روح فى الأصل . وذلك أن الروح ـ كما فى شرح ورد السحر للعارف الشبراوى ـ ملكية علوية مقدسة ؛ لكن لما هبطت من عليين إلى أرض الطبيعة امتزجت بها امتزاج الماء بالعود الأخضر ، وألفت الصفات التى اقتضاها الجسم ، ونسيت عهود مولاها ، فإذا ذكرها مذكر بعهدها القديم ، حنت واشتاقت إلى مولاها . قال الناظم فى قصيدته التائية :

يذكّرها العهد القديم سماعُها لترجيع تال للمثانى الكريمة

وله أيضاً فى قصيدته التى أشار فيها إلى هبوط الروح بعد مجاورتها للملأ الأعلى :

لله بارقة للقلب قد لمعت من عالم الأمر لا من عالم الصُّوَر

إلى أن قال :

يأيها الروح هل ترضى مجاورة على الدوام لهذا المظلم الكدر

وأين كنت ولا جسمٌ تساكنه ألست في حضرات القدس فادّكر
تأوى مع الملأ الأعلى وتشرب من حياض أنس كما تجنى من الثمر
حتى جُعِلتَ بأمر الله في قفص ليبتليك فكن من خير مختبَر

ومعنى (سوقها إلى حماها) : تطهيرها من جميع الآفات ، والصفات الذميمات ، حتى تستنير السريرة بأنوار المكاشفات والملاطفات . وقد تكفل بإيضاح ذلك مع أسبابه جملة وتفصيلا : الأئمة الصوفية في كتبهم رضى الله عنهم ، سيما حجة الإسلام الغزالى جزاه الله عن الإسلام خيراً .

* * *

قال سيدنا الحبيب نفعنا به الله آمين :

﴿ فإن الروح من ملكوت غيبٍ تنزلُّهـا بمتجَرها الربيح ﴾

الفاء للتعليل ؛ أى سوقوا القلوب إلى حماها وموطنها لأنها من ملكوت غيب ، أى الملكوت الغائب الذى هو عالم الغيب المحض . وأما عالم الملك فهو المسمى بعالم الشهادة من المحسوسات. قال الإمام الغزالى : والقلب من عالم الملكوت بأصل فطرته ، وإنما هبوطه إلى عالم الشهادة كالغريب عن حلته ـ انتهى . ولكون الروح ليست من هذا العالم المحسوس لا تصلح إلا أن تتعلق بالمولى . قال العارف الشرقاوى : والحاصل أن الإنسان بمجموع

شيئين : جسم وروح . وبين الجسم والكون مناسبة ومجانسة ؛ فهو متوقف على الكون ، فإن تعاطى منه ما يقوم به بقى فى هذا العالم وإلا هلك ، حسبما جرت العادة الإلهية ، وليس بين الروح والكون مجانسة ولامناسبة ، فلا يصلح أن تكون به بل بالمكون وهو المولى جلت قدرته ، وحينئذ فينبغى السعى فى تكميلها بالأذكار والرياضات ، حتى تزول عنها الكدورات البشرية ، ويصلح تعلقها بحضرة الرب تعالى الذى هو شأنها الأعظم . وأما الجسم فلا ينبغى الاهتمام بما يصلحه فإن الله متكفل به ، ولذا قيل :

يا خادم الجسم كم تشقى بخدمته وتطلب الربح فيما فيه خسران
عليك بالنفس فاستكمل فضائلها فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان

وقول الناظم : (تنزلها بمتجرها الربيح) يعنى أن تنزل الروح من نشأتها الأولى إلى نشأتها الثانية وهو عالم الأشباح لأجل متجرها الربيح . فالباء بمعنى اللام وهى لحكمة نزولها لاعلة له ، لأن الله تعالى أفعاله منزهة عن الأغراض ، لا يبعثه شىء على شىء كما هو مقرر فى الأصول ، ولكن لا تخلو أفعاله عن حكمة ، وقد تظهر وقد تخفى .

والمراد بالمتجر هنا : كسب العبد الذى به تكون السعادة والشقاوة ، فهو متجر فى فطرته السليمة والعقل الصرف ، إذ هما

رأس ماله الذى يتوصل به إلى درك الحق ونيل الكمال ، فيكون رابحاً باتباع الحق ، وخاسراً بتركه . فعلم أن قول الناظم : (بمتجرها الربيح) فيه اكتفاء ، لأن المتجر كما تقرر إما ذو خسارة أو ربح .

ثم إن الحكمة فى تنزل الروح ظاهرة ، وهى أنها - كما فى كتاب الفتوح للعلامة الإبيارى - وإن كانت فى النشأة الأولى صافية غير محتجبة عن كمالها ، إلا أنه بقى لها كثير من الكمالات لا يمكن تحصيلها إلا بالتعلق بالبدن ، واستعمال آلات قوى ظاهرة وباطنة ، وقد جعل الله لها غايات بمقتضى الفطرة الأصلية لابد من بلوغها إليها ، وقضى لها وعليها بمقامات لابد أن تستوعبها ، وتبلغ غايتها التى تستحق بها ما أعد الله لها فى الدار الآخرة من العذاب الأليم أو النعيم المقيم . وذلك يتوقف على أفعال مختلفة بوسائط آلات وقوى متغايرة هى فيها كامنة موجودة بالقوة فى نشأتها الأولى فى العالم العقلى ، فاقتضت الحكمة الإلهية انتقالها من ذلك العالم إلى عالم آخر تظهر فيه الأفاعيل التى بها تبلغ تلك الغاية ، فإذا مضت مدتها المحدودة لها فى العالم العقلى حال نشأتها الأولى انسلخت عما كانت عليه من المعرفة والإدراك ، والوجود الروحانى ، وجعلت جسماً طبيعياً مادياً يوافق التعلق بالبدن الجسمى ، والهيكل الذى يبلغ أقصى غاياتها ، فافتقرت إلى البدن لا من حيث حقيقتها المطلقة .

ومن الحكم والمصالح المرتبة على تنزل الروح إلى عالم الأجسام وتعلقها بالأبدان - إظهار ما فى النوع البشرى من الاستعداد لما ليس لغيرهم من العلوم الحقية .

ومنها - والله أعلم - ما يفهم من الحديث القدسى ، وهو : « كنت كنز مخفياً فأحببت أن أعرف . . » الخ .

ومن الحكم فى تنزل الروح - القيام بوظائف العبودية بالجوارح البشرية ؛ إذ هى مظهر العبادات التى هى الحكمة فى إيجاد الإنسان ؛ كما قال تعالى وهو أصدق القائلين : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ قال العارف عمر بن الفارض قدس سره :

ولم ألْهُ باللاهوت عن حكم مظهرى ولم أنس بالناسوت مظهر حكمتى

يريد : أن المقام الذى تغلب فيه الروحانيه لا يلهيه عن وظائف العبوديه ؛ كما أنه لم ينس بناسوته مظهر الحكمة فى إيجاده المشار إليه بقوله تعالى : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ واللاهوت والناسوت : لغة عبرانية ، يقولون لله لاهوت ، وللإنسان ناسوت .

(تنبيه) - حيث تقرر آنفاً أن الجوارح مظهر الحكمة فى إيجاد الإنسان فينبغى للكيس أن يبعد جوارحه عن المعاصى ،

ويصرفها فيما خلق لأجله شكراً للمنعم . وفى الإنسان سبع جوارح خلقت لمصالح دينية ، ومصالح ومنافع أخروية. ولنورد هنا الكلام على ذلك بما قاله علماء الدين وأرباب البصائر ؛ ففى كتاب التعرف فى الأصلين والتصوف للشهاب ابن حجر ما نصه :

إحدى السبع - (العين) خلقها الله لك لمصالح (أخروية) هى النظر فى الملكوت للاعتبار بما فيه من الآيات « تفكر ساعة خير من عبادة ستين سنة » (ودنيوية) هى التمتع بالمستلذات ، والخلوص عن المؤذيات ، وشكر ذلك حفظها عن كل نظر محرم ، كرؤية أمرد وأجنبية . وقد نظر بعض المريدين الصادقين لأمرد فأخبر شيخه بذلك ، فقال له : سترى بعد ذلك عاقبته ، فنسى القرآن بعد عشرين سنة ، وكان يقول : هذا بتلك النظرة . وكرؤيتك إلى حوزة غيرك على سبيل التجسس الممتنع . قال أبو بكر رضى الله عنه : لو رأيت زانياً لسترته بثوبى . وكمال ذلك كفها عن كل مالا ثواب فيه ، إذ لا ينبغى لمريد الكمال أن يصدر منه فعل أو كف إلا على وفق ما طلب ليثاب عليه . ويأتى هذا فيما يأتى أيضاً .

(ثانيها - الأذن) خلقها الله لك لمصالح (أخروية) هى سماع الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، والحكم العلمية والعملية ، والإدراكات الزكية المطهرة للنفس من خبائثها ، والمؤهلة لها إلى شهود خالقها ، ولكثرة هذه الفوائد كان السمع أفضل من البصر ،

لأن أكثر فوائده دنيوية ، وأكثر فوائد السمع أخروية ، ولذا قد تجد الأعمى أكمل من كثير من البصراء ، والأصم كالحجر الملقى لا يعرف ولا يحسن بياناً . فالسمع المخلص عن هذا الموت خير من البصر المخلص عن تعطل نوع من اللذة فقط .

(ومصالح دنيويه) هى الاستلذاذ بالمسموعات ، والتوصل إلى فهم المخاطبات ، وشكر ذلك حفظها عن الاصغاء بها إلى محظور : كغيبة ونميمة . وخوض فى الباطل : كبدعة ، ومراء ، وجدال ، فإنك باصغائك إلى إثم تكون شريكاً لقائله ، كما قرره العلماء وأوردوا فيه من الكتاب والسنة ما يشهد له - وكصوت كوبة ، وصوت أنثى وأمرد يخشى منه الفتنة ، وصوت مزمار ولو ليراع [1] ومن عليه ضرب خفيف [2] ، ومن شعر أو غيره . ولا تغتر فى هـذا بقوم استروحوا إلى شهوات نفوسهم ، فحللوا إستماع الأوتار والمزامير ، وغفلوا عما ورد فى ذلك من الكتاب والسنة ، وما يترتب عليه مما بينته فى كتابى : [كف الرعاع عن محرمات اللهو والسماع] .

---

(١) قوله : « واليراع » أقول : الأصح عند المحققين من فقهاء وصوفية عدم تحريم اليراع ، وصرح به الرافعى ، وهو عمل ساداتنا العلويين . وليحمل كلام الشهاب ابن حجر هنا على اليراع الذى به محظور ، وكان وسيلة لمحرم ؛ لأن للوسائل حكم المقاصد . اه . [واليراع : فى الأصل قصبة ينفخ فيها الراعى ، وأطلق على آلة الزمر والكوبة : بالضم اسم للعود ، وهو آلة الغناء] .

(٢) كذا بالأصل فليحرر .

(ثالثها ـ اللسان) خلقها الله لك (لمصالح دينية) : كقراءة القرآن والسنة والأذكار ، والعلوم وتعليمها ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ونصح المسلمين ووعظهم ، وقضاء حوائجهم ، والشفاعة لهم ، والصلح بينهم ، وغير ذلك من كل ماله تعلق بما أمر به الشارع .

(ودنيوية) : كتحصيل الأموال بالعقود والحلول ، وطلب الحوائج ، والسعى فى مصالح المعاش والمعاد . وشكر ذلك حفظه عما لم يخلق له من كل تكلم بمحظور ؛ كالكذب المؤذى ، وهو من أمهات الكبائر ، وغيره ، وهو صغيرة إلا لحاجة « ليس بالكذاب من يصلح بين الناس » . وكل خصلة سيئة قوليّة يبقى معها نوع إحترام وتعظيم لقائلها إلا الكذب . وإذا أردت معرفة قبحه فانظر استقباحك له من غيرك ؛ فإن ما استقبحته من غيرك تستقبحه الناس منك . وكذا فى سائر الأفعال والأقوال ، فاحكم على نفسك بما تحكم به على غيرك ـ وكالغيبة ، والكلامُ فيها طويل ، ومن ثم أفردته بتأليف سميته [تطهير العيبه ، من دنس الغيبه] ، وكخلف الوعد ، بالمعنى المراد فى عدّه صلى الله عليه وسلم له من آيات النفاق ، والمراء والجدال ، ومناقشة الناس فيما لا يعنيك ، فمن حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه . وغالباً أن أخذ هذه المعانى يكون سبباً للمقت عند الناس ـ وتزكية النفس إعجاباً وتكبراً ،

أو خيلاء ، بخلافه لحاجة نفوذ ما يأمر به ، وتعريفه الناس بفضله ليأخذوه عنه ، ويعاملوه به ﴿ اجعلنى على خزائن الأرض إنى حفيظ عليم ﴾ ، « أنا سيد ولد آدم ولا فخر » ، « آدم فمن دونه تحت لوائى » - إلى غير ذلك من آفات اللسان الكثيرة ؛ فإن البلوى به عظيمة جداً ، إذ هو أيسر السبعة معاصى ، وأكثرها وقوعا « وهل يكب الناس فى النار على وجوههم أو مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم » ولا يعينك على السلامة من آفاته إلا العزلة ، وملازمة الصمت إلا عند الضرورة والحاجة . أوصنى[1] ؛ فأخرج لسانه وقال : كف عليك هذا . وكان الصديق يمسكه ويقول : هذا الذى أوردنى الموارد .

(رابعها : البطن) خلقه الله لك (لمصالح دينية) ، هى إمداده لبقية البدن بما يستحيل فيه الدم الذى هو النفس والروح عند الأطباء إلى المنىّ الذى به التوالد والتناسل ، وبقاء هذا العالم ؛ فبسلامة أعضائه الرئيسية ، سلم بقية البدن من الأمراض المانعة من القيام بالطاعات على وجهها الأكمل - (ودنيوية) هى الاستيفاء للذات المأكولات ، وللمشروبات ، والمباضعات . وشكرُ ذلك

---

(١) كذا بالأصل ولعل فيه سقطاً من الناسخ . وفى الاحياء عن معاذ بن جبل قال : يا رسول الله ، أوصنى . قال : « أعبد الله كأنك تراه ، وعد نفسك فى الموتى ، وإن شئت أنبأتك بما هو أملك لك من هذا كله ، وأشار بيده إلى لسانه » . اهـ

حفظه من أن ينزل فيه حرام «لا يدخل الجنة لحم نبت من حرام» أو مشتبه «فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه» ومن الشبع فإنه يقسى القلب، ويفسد الذهن، ويعطل القوى الباطنة عن إدراك المعانى الكاملة، والعلوم الفاضلة، واستجلاء المعارف، واستملاء العوارف، ويثبط الأعضاء عن الطاعة، وينشطها إلى المعصية، وينصر جند الشيطان على نفسه، ويمكنهم من إغوائه وحسده ﴿إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً﴾ الآية. «المؤمن يأكل فى معىً واحد، والكافر يأكل فى سبعة أمعاء»، «حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، إن كان لا بُدّ فثلث للطعام، وثلث للشراب، وثلث للنَفَس».

(خامسها ـ الفرج) خلقه الله لك (لمصالح أخروية)، هى التوالد والتناسل «كل عمل ابن آدم ينقطع بموته إلا العلم الذى ينتفع به من بعده، وإلا الصدقة الجارية (أى الوقف)، وإلا الولد الصالح (أى المسلم) يدعو له» نبه بالدعاء، على أن ولد الإنسان من آثاره وكسبه، فيكتب له مثل ثواب جميع أعماله الصالحة «الدال على الخير كفاعله»، فكيف بمن هو كسبه! ولا يكتب عليه من أعماله السيئة شيء، فله غنمه، وليس عليه غرمه (ودنيويه) هى التمتع بلذته، وبالأولاد الناشئين عن الوطء، الذين هم أعظم زينة الحياة الدنيا ﴿زيّن للناس حُبّ الشهوات من النساء والبنين..﴾، ﴿المال والبنون زينة الحياة

الدنيا .. ﴾ الآيتين . وشكرُ ذلك حفظه من أن يفعل به محرَّماً أو مشتبها ﴿ والذين هم لفروجهم حافظون .. ﴾ الآية . ولا يتم حفظه إلا بصَوْن العين عن النظر ، والقلب عن الفكر فى محاسن الصُّوَر ، والبطن عن الحرام والشبهات والشبع المؤدى إلى التهلكات .

(سادسها وسابعها ـ اليدان والرجلان) خلقها الله لك (لمنافع أخروية) هى مباشرة الأسباب الموصلة إلى رضى إلله تعالى ـ (ودنيوية) هى كسب الأموال والأغراض ، ووقاية النفس عن المضار والأعراض . وشكر ذلك استعمالها فيما خلقت له من الطاعات ، وحفظها أن لا تستعمل فى شىء من المحظورات ﴿ يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون ﴾ فلا تؤذ بيديك محترماً ، ولا تخن بهما فى أمانة ، ولا تتناول بهما محرَّماً ، ولا تكتب بهما محظوراً ، فإن القلم أحد اللسانين ، وكلما حظر على اللسان ، حظر على القلم . ولا تمش برجليك إلى محرم ، ولا إلى باب ظالم إلا لضرورة حافة ، فإن الركون إليهم السمّ القاتل .

والحاصل ـ أن جميع حركاتك وسكناتك من أعظم نعم الله تعالى عليك فاصرفها جميعها فى الطاعة لتكون ممن عرف وشكر ، ولا تجعلها فى معصية ، فإنك حينئذ تكون ممن بطر النعمة بها

وكفر ؛ فاستحق دوام النقمة والحرمان ، وعومل بالبوار والهوان « ما بطر أحد النعمة فعادت إليه » انتهى .

تنبيهات لها مناسبة بما تقدم .

(الأول) : لا يخفى على من نظر فى المقاصد وشرحها ، والمواقف ، وكلام الصدر الشيرازى وغيره ، واختلاف عباراتهم التى ظاهرها التنافى بين كون الأرواح قبل هبوطها إلى الابدان فى مبادى تكوّنها كانت خليّة عن المعارف ، أو كانت متحلية بها ، مشغولة بشىء من العبادات فى فضاء عالم الملكوت .

ومن أطلق جواد الفكر فى مضمار التأمل ظهر له أن لا منافاة بين كلامهم ؛ إذ الكلام فى مقامين مختلفين ، ونشأتين للنفس متباينتين فيحمل كلام من نفى عنها المعارف والإدراك فى مبادى تكونها ، على تكونها الجسمى فى نشأتها الثانيه التى تتعلق بالبدن ويحمل كلام من اثبت لها ذلك على نشأتها الأولى فى عالم الأرواح المجردة . والمثبتون لذلك قالوا : إن النفس مجبولة على الكمالات فى نشأتها الأولى فى عالم الأرواح التى هى فيها من المجردات ؛ وإلى هذا يرشد مواقع كلام العلماء ، بل صرح بذلك سيدى الناظم فى رائيته ، حيث قال فيها مخاطباً للروح الأمرىّ ، رضى الله عنه آمين :

يا أيها الروح هل ترضى مجاورة على الدوام لهذا المظلم الكَدِر

وأين كنت ولا جسم تشا كله ألست فى حضرات القدس فادكر
تأوى مع الملإ الأعلى وتشرب من حياض أنس كما تجنى من الثمر

أى تشرب من حياض أنس المعارف ، وتجنى من ثمارها ، وتأوى مع الملأ الأعلى (يعنى الملائكة) ؛ لأن الروح من جنسها (وبه صرح إمام الحرمين) ، وبأنها محل العلوم الإلهية ، وإنما حجبها عنها حكم الجسد الذى امتزجت به وتسفلت ، ولذا قال القائل مخاطباً للإنسان :

حجابك فيك وما تبصِرُ وداؤك فيك وما تشعُرُ
وتزعم أنك جِـرْمٌ صغير وفيك انطوى العالم الأكبر

أما إشتغالها بعبادة الله فى ذلك العالم ، ففى الإبريز ما يستفاد منه : أنها مشغولة بها ، فراجعه إن شئت . ويؤيد ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد » ، فقد حقق العلامة السبكى : أنه ليس المراد كنت فى علم الله وإلا فلا مزية ولا فرق بينه وبين غيره من الأنبياء ، وإنما ذلك حقيقة فى عالم ظهور الأرواح ، وأنه تعالى نبأ روحه الشريفة وأرسلها إلى جميع الأرواح بأمر يعلمه الله سبحانه وتعالى .

(الثانى) لايلزم من كون الروح قبل تعلقها بالجسد عاقلة داركة فى نشأتها الأولى ـ أن تكون عاقلة داركة عند نشأتها الثانية كذلك من أول تعلقها بالبدن ، حتى يلزم بنفخها فى البدن أن يكون

الإنسان عاقلا عارفاً ، ويولد كذلك . بل يجوز أن يقال : لما تعلقت بالبدن عاقتها ظلمة العلائق الجسمية ، وشغلها تدبير البدن وتصرفها فيه عن ذلك إلا بوسائط الحواس والآلات وقواها ـ أفاده العلامة ـ الأبيارى فى كتاب الفتوح .

(الثالث) ـ حيث تقرر أن الروح بحسب ذاتها من عالم القدس والطهارة ، فما يكون من الكفر هو من نشأة البدن ، لأنها ظلمانية ناقصة ، بخلاف نشأة الروح فإنها كمالية ، ويدل على ذلك حديث « كل مولود يولد على الفطرة » ، والمراد بهذه الفطرة : فطرة الروح ، لأنها من عالم القدس والطهارة ـ أفاده الصدر الشيرازى . قال : وأما ما يكون منها من الكفر والمعاصى فذاك من نشأة البدن اه .

(الرابع) ـ أن الروح وإن كانت من صفاتها المعرفة أصالة ، فلها ما يمنعها من إدراكها وما يعينها على إدراكها . وخلاصة الكلام فى هذا المطلب ما ذكره العلامة عبد الهادى الأبيارى بما حاصله أن النفس التى هى اللطيفة المدبرة لجميع الجوارح والأعضاء ، المستخدمة لجميع المشاعر والقوى ، هى محل العلوم والمعارف فى الإنسان ، وهى بحسب ذاتها قابلة للعلوم والمعارف إذ نسبتها إلى الصور العلمية نسبة المرآة إلى صور المبصرات ، وإنما المانع من انكشاف الصور العلمية لها أحد أمور كما فى مثال المرآة .

الأول ـ نقصان جوهرها وذاتها ، كنفس الصبي قبل أن تقوى في نشأتها البدنية . فإنه لا تتجلى لها المعلومات لنقصانها وكونها بالقوة لا بالفعل ، وهذا بإزاء نقصان المرآة وذاتها كجوهر الحديد قبل أن يذوب ويشكل ويصقل .

الثاني ـ خبث جوهرها ، وظلمة ذاتها بكدورة الشهوات ، وتراكم الظلمات التي تحصل على وجه النفس من كثرة المعاصي : فإنها تمنع صفاء القلب وجلاء النفس ، فلا تظهر فيها المعارف ؛ كصدأ المرآة وخبثها المانع من ظهور الصور فيها وإن كانت قوية الجوهر تامة الشكل ، فإن كل حركة من قول أو فعل وقعت من النفس تحدث في ذاتها أثراً منه ، فإذا كانت عقلية كانت معينة لها على الكمال ، وإن كانت غضبية أو شهوانية كانت عائقة ، فكل اشتغال بأمر حيواني يحدث في وجه النفس نكتة سوداء ، كما تحدث النكتة السوداء في وجه المرآة وإذا تكثرت وتراكمت أفسدتها وأفسدت جوهرها ، وذلك هو الرين المذكور في قوله تعالى : ﴿ بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ﴾ وفي الحديث « من ترك جمعة اسود ثلث قلبه ، ومن ترك جمعتين اسود ثلثا قلبه ، ومن ترك ثلاث جمع اسود قلبه كله » ومن هنا قال سيدنا الإمام الشافعي رحمه الله تعالى :

شكوت إلى وكيع سوء حفظي　　فأرشدني إلى ترك المعاصي

وأخبرني بأن العلم نور ونور الله لا يهدى لعاصى

(فإن قيل) : فإن كثيراً من فحول العلماء بل من أئمتهم فسقة ، بل كفرة ككثير من أئمة النحو والأدب ، وككثير من أئمة الحكمة والنجوم والطب والهندسة وغير ذلك؟ (فالجواب) كما يظهر أن يقال : لعل المراد أنه الغالب ، أو ذاك بالنظر إلى العلوم الشرعية التي تقارن الخشية ، فتثمر لصاحبها امتثال المأمورات ، واجتناب المنهيات ، والتخلي من مذام الصفات . والتحلي بمحامدها ، أو المراد كما يظهر من كلام الإمام الشافعي علم القلوب ، والمشاهدات التي هو نتيجة التقوى ، وعلم المعرفة واليقين الذي هو من مزيد الإيمان وثمرة الهدى .

(الخامس) - حيث تقرر أن الروح محل العلوم الإلهية لأنها من جنس الملائكة ، وأن الذي حجبها عن إدراك تلك العلوم حكم الجسد - فاعلم أن هذا الحجاب يرتفع عن العبد باستعمال الرياضات الشرعية بشروطها المقررة ، وكمال المتابعة للنبي صلى الله عليه وسلم ، فتظهر للقلب حقائق الأشياء على ما هي عليه في نفس الأمر حينئذ .

قال القطب العارف بالله شيخ بن عبد الله العيدروس في كتابه (حقائق التوحيد ورقائق التفريد) ما حاصله - بعد أن ذكر ما ذكر - فإذا أخذ العبد في الرياضات أخذت الحجب في الارتفاع ، لأنه إذا قلل الطعام والكلام والمنام ، والاختلاط

بالأنام سقط قيد الجسم عن الروح ، فإذا أضيف إلى ذلك ترك العادات ، كالجزع والاسترسال مع الخواطر، والتشوف إلى ما الناس فيه ، والفرح بالحاصل ، والحزن على الفائت وأمثال ذلك ، تخلص الروح من سجن الطبع ، وطار فى فضاء عالم الأرواح ، فإذا أضيف إلى ذلك ترك القياس بالعقل عند طلب معرفة الأمور ظهرت له الأشياء على ما هى عليه ، فلا يحجبها الجدران ، ولا يمنعها بعد المكان والزمان ، وقد ترى الأشياء بالعين الشحمية لاتحاد نور القلب بالعين ، فحينئذ جاز أن يسمى قلبه باللوح ، وأن تسمى روحه بأم الكتاب - انتهى .

وطريق الرياضة فى كسر شهوة البطن قد ذكرها الإمام الغزالى فى الإحياء . وأما أركان الرياضة فهى أربعة معروفة : ذكرها العلماء مفصلة الكيفية ، وهى : السهر ، والجوع ، والصمت ، والخلوة . وأكل الحلال شرط لمن رام الوصول إلى حضرة القدس ، ومقام الكشف والشهود ، إذ لا تتنور البصيرة إلا بالحلال ، ولا وصول إلا لمن تنورت بصيرته . وكذلك التفرغ عن العلائق والعوائق ، وتطبيق الأعمال على قانون الشريعة وميزان السنة ، وتجريد القلب عن شواغل الخواطر ، وتزكية النفس عن كل خصلة مذمومة، وإطلاق الروح عن عقال الشهوات النفسانية ، وتجريد الذهن عن العلائق البدنية ، والعادات الطبيعية

والتوجه على الدوام إلى العوالم الروحانية ، والتخلى عن مقتضيات الطبائع البشرية ، والتحلى بالخصال الملكية ، وملازمة جميع ما يتعلق بتوحيده تعالى من الذكر وسائر العبادات ، بل هو جلاء الصدأ للقلوب كما فى الحديث ، وعليه المدار فى هذا الباب .

* * *

ثم قال الناظم رضى الله عنه ونفعنا به آمين :

﴿ وإن الجسم من طين وماء   يميل إلى الحظوظ بكل ريح ﴾

يعنى أن جسم الإنسان خلق من ماء وطين ، باعتبار أصل الأجسام الآدمية وهو آدم عليه السلام ، قال تعالى : ﴿ خلق الإنسان من صَلصال كالفخار ﴾ فى سورة الرحمن ، وفى الحجر : ﴿ من حمأ مسنون ﴾ ، وفى الصافات ﴿ من طين لا زب ﴾ ، وقال تعالى فى سورة آل عمران : ﴿ كمثل آدم خلقه من تراب ﴾ وكل ذلك متفق المعنى ، قاله الخطيب فى تفسيره .

وتوضيحه : أن جسم الإنسان خلق باعتبار أصله من العناصر الأربعة: الماء، والتراب، والهواء والنار المستمد من الهواء. قال الخطيب: فالأرض أمه ، والماء أبوه ، ممزوجين بالهواء الحامل للجزء الذى هو من فيح جهنم . فمن التراب جسده ونفسه ، ومن الماء روحه وعقله ، ومن النار غوايته وحدته ، ومن الهواء حركته وتقلبه فى محامده ومذامه . فالغالب فى جسده التراب ، فلهذا نسب إليه

وإن خلق من العناصر الأربعة ـ انتهى .

(قوله يميل إلى الحظوظ بكل ريح) أى يميل إلى حظوظها وشهواتها بكل ريح ، أى هواء فإن ذلك من شأنها ، إذ الماء والطين لهما مناسبة للهواء ، لكون الجميع من العناصر الأربعة ، والعنصر الرابع مستمد من الريح كما تقرر . وسبب ميل الجسم إلى الريح ما فيها من اللطافة والليونة التى يميل إليها كل من أحب الراحة . وحبها سبب لفوات كثير من الخيرات ، قال الشاعر :

جمع الهواء مع الهوى فى أضلعى فتكاملت فى مهجتى ناران
فقصرت بالممدود عن نيل المنى ودُرجت بالمقصور فى أكفانى

ومما تقرر ظهر الفرق بين الروح والجسم ، وخيرية الروح على الجسم مما لا يخفى ، ولذا قال الحبيب رضى الله عنه فى بعض منظوماته .

نعم عالم الأرواح خير من الجسم وأولى ولا يخفى على كل ذى علم

* * *

ثم قال الناظم رضى الله عنه:

﴿ فوجِّهْ حيث شئت فأنت مما له وجهتَ فاختر للمليح ﴾

أى وجه نفسك حيث شئت ؛ لأنك مما وجهت له نفسك . والمعنى : أن لك أيها الإنسان قابلية إلى الكمال إن شئته ، وإلى الضد كذلك . وتحقيق هذا : أن كل نفس بحسب السابقة

صالحة لأن تعرف حقائق الأشياء ، لأنها أمر ربانى فارق سائر جواهر العالم . وما ورد من قوله صلى الله عليه وسلم : « لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بنى آدم لنظروا إلى ملكوت السموات » إشارة إلى هذه القابلية وإن تفاوتت المراتب بحسب الاستعدادات ﴿ قد أفلح من زكاها . وقد خاب من دساها ﴾ فإذاً يصير بهيمى الصفات إذا جنح لأسباب ذلك ، وملكى الصفات إذا تعاطى أسباب ذلك . قال حجة الإسلام الإمام الغزالى رحمه الله تعالى : إن الإنسان درجة متوسطة بين الدرجتين ، فكأنه مركب من بهيمية وملكية . والأغلب عليه فى بداية أمره البهيمية ، إذ ليس له أولا من الإدراك إلا الحواس . . . إلى أن قال : وكذلك المتولى عليه . أولا شهوته وغضبه ، وبحسب مقتضاهما انبعاثه إلى أن تظهر فيه الرغبة فى طلب الكمال ، والنظر فى طلب العافية وعصيان مقتضى الشهوة والغضب . فإن عصى الشهوة والغضب حتى ملكهما ، وضعفا عن تحريكه وتسكينه أخذ بذلك شبهاً من الملائكة : وكذلك إن فطم نفسه عن الجموح والخيالات والمحسوسات وأنس بالادراك عن أمور تخيل أن ينالها حس أو خيال أخذ شبهاً آخر من الملائكة ، والملك قريب من الله ، والقريب من القريب قريب ـ انتهى . وبذلك ظهر معنى قوله : ﴿فاختر للمليح﴾ أى الأحسن ، وما هو إلا الأخلاق الملكية التى بها تنال السعادة الأبدية . وظهر أيضاً معنى قوله ﴿ فأنت عما له

وجهت ﴾ إذ الإنسان لابد أن يتوجه إلى الصفات البهيمية أو الملكية : وقد تقرر فى كلام الغزالى : أن الإنسان كأنه مركب منهما .

* * *

ثم قال الناظم رضى الله عنه آمين :

﴿ وجانب كل سَفسَاف ونُكْرٍ من الأخلاق والعمل القبيح ﴾

(قوله : وجانب) معطوف على قوله (فاختر للمليح) وحاصل كلامه : أنه أرشد إلى التحلى بقوله : فاختر للمليح) وإلى التخلى بقوله : (وجانب كل سفساف) والتحلى - بالحاء المهملة - عبارة عن الاتصاف بكل محمود . والتخلى - بالخاء المعجمة - عبارة عن التنزه عن كل مذموم . والمليح . هو الحسن شرعا . والمراد بالسفساف كل أمر دنى لا يثمر إلا الخزى والوبال . والنكر من الأخلاق : منكراتها ، وهى كثيرة ؛ ذكر منها الإمام الغزالى فى الإحياء فى ربع المهلكات . وذكر علاجها وأسبابها . وأنهاها العارف النابلسى إلى ستين (أعنى منكرات الأخلاق) وذكر حجة الإسلام أيضا الخصال المحمودة فى كتبه .

(قوله والعمل القبيح) المراد بالعمل القبيح : ما قبحه الشرع من المنهيات . فمن لم يكن شأنه ترك المنهيات وفعل المأمورات فهو متعرض لسلب الإيمان والعياذ بالله . قال الناظم نفع الله به : على الإنسان الاجتهاد فى حفظ إسلامه وتقويته بفعل ما أمر به

من طاعة الله تعالى ، فإن المضيع لأوامر الله متعرض للموت على غير الإسلام ، فإن تركه لذلك دليل على استهانته بحق الدين، وعلى الاستخفاف به ، فليحذر المسلم من ذلك غاية الحذر ، وعليه أيضاً أن يجانب المعاصى والآثام ، فإنها تضعف الإسلام وتوهنه ، وتزلزل قواعده ، وتعرضه للسلب عند الموت ، كما وقع (والعياذ بالله) لكثير من الملابسين لها و المصرين عليها . وفى قوله تعالى : ﴿ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوأى أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزئون﴾ ما يدل على ذلك ، فتأمله ، وخذ نفسك بامتثال أوامر الله تعالى ، واجتناب محارمه ، وإن وقعت فى شىء منها فتب إلى الله ، واحذر كل الحذر من الإصرار عليه ، ولا تزال سائلا من الله حسن الخاتمة ـ انتهى .

* * *

قال الناظم :

﴿وسافر فى السبيل إلى المعالى بجدٍّ واستمع قول النصيح﴾

أمر رضى الله عنه بالسفر، والمراد به السير المعنوى إلى الله تعالى بقطع عقبات النفس إلى المقامات العلية ـ قال فى الرسالة: واعلم أن السفر على قسمين : سفر بالبدن . وهو انتقال من بقعة إلى بقعة وسفر بالقلب ، وهو ارتقاء من صفة إلى صفة . قال شارح الرسالة الشيخ زكريا الأنصارى رحمه الله تعالى ما نصه : بان يسافر عن

شهواته بقلبه ، ويتيقظ لإصلاحه بنقله من الأخلاق الذميمة إلى الحميدة بمجاهدة نفسه إلى أن يصل إلى مقام التوحيد ، وكمال الأنس بقربه ، ودوام ملاحظته له ، وشتان ما بين سفر الأبدان وسفر القلوب ، وسفر القلوب لا يستغني عنه مسافر ولا مقيم ، لأنه إنما جعل للنقل من الصفات الذميمة إلى الحميدة ، وسفر الأبدان قد يكون من الوسائل إلى سفر القلوب ، إذا كان لطلب العلم النافع لله تعالى ، ولطلب الدليل المرشد بقوله وفعله. وقال الشيخ مصطفى العروسى فى حاشيته على شرح الرسالة : اعلم أن السفر سفران : أحدهما - الانتقال بالأجسام من جهة إلى جهة أخرى ، لمقصود من المقاصد الواجبة أو المندوبة : كحج وزيارة ورياضة . وثانيهما - سفر القلوب وانتقالها من مواطن الغفلة والشهوات إلى مدارج أرباب السعادات ، وهو لا يكون إلا واجباً لمن أراد الوصول ونيل المأمول - انتهى . وفى معنى السفر إلى المعالى : التفكر فى مصنوعات الله تعالى التى اشتملت عليها السماء والأرض وعليه كما فى الرسالة قول شيخ من شيوخ الطائفة ، وله على لسان الصوفية تصانيف ، لما سأله بعض الناس : هل سافرت أيها الشيخ ؟ فقال له : تريد سفر الأرض أم سفر السماء ؟ سفر الأرض لا ، وسفر السماء بلى (أى سافرت) فالمراد بسفر السماء : التفكر فيما اشتملت عليه من عجائب مصنوعاته ، وآثار باهر قدرته . بل هذا السفر أشد تأثيراً فى القلوب من السفر بالأبدان ، إذ السفر

بالأبدان لا يتجاوز إلى العالم العلوى ، بخلاف السفر بالتفكر :
قال سيدنا الناظم :

إذا ماصفا أولاك معنى من الفكر وصفٍّ من الأكدار سرّك إنه
وتسرى به فى ظلمة الليل إذ يَسْرى تطوف به غيب العوالم كلها

والتفكر مطلوب ، إذ هو كحل البصيرة ، قال الله تعالى : ﴿أولم يتفكروا فى ملكوت السموات والأرض﴾ وفى الحكم العطائية : ما نفع القلب مثل عزلة تدخل بها ميدان فكرة .

(قوله بجد) الباء للمصاحبة ، متعلقة بسافر ، أى سافر بجد - والمراد به : الأخذ بالعزائم وتحمل أثقالها ، ومواصلة نوافل العبادات الموجبة لحب الله . قال سيدنا الحبيب أحمد بن عمر بن سميط نفع الله به :

يُنيلك حب الله وهو نوافله وأفضل ما أدّيته الفرضُ فالذى

فمن أراد تقديس روحه والوصول إلى مقامات أهل القرب فلا بد أن يستعمل رياضات الحكماء الإسلامية ، حتى تستولى على روحه ونفسه ، ويتخلّى عن أحكام جميع القوى والحواس الظلمانية . ولا بد من مراعاة الشروط على ماشرحه الإمام الغزالى وغيره من أئمة الدين . وينبغى اغتنام الأوقات والساعات ، لئلا يضيع العمر فى البطالة ، قال سيدنا الناظم :

واعمُرْ بأوراد العبادة عمرك الـ ـفانى وساعات الزمان المزمِـع

(قوله واستمع قول النصيح) النصيح: بمعنى الناصح هنا، وهو باذل النصيحة التى هى من أعظم خصال الدين ، فنى الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « الدين النصيحة . قلنا لمن ؟ قال لله عز وجل ولكتابه ولرسوله صلى الله عليه وسلم ولأئمة المسلمين وعامتهم » قال الشهاب ابن حجر فى شرح هذا الحديث ؛ أى بإرشادهم لمصالحهم فى أمر آخرتهم ودنياهم ، وإعانتهم عليها بالقول والفعل . إلى أن قال : وتعهدهم بالموعظة ـ انتهى . ويجب على المنصوح قبول النصيحة ، وإلا دخل فى عموم من لم ينتفعوا ولم يتعظوا ، القائلين: (سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين)

* * *

قال الناظم رضى الله عنه:

﴿ ولا تؤثر على الرحمن شيئاً تعالى قابل التَّوبِ النصوحِ ﴾

أى لا تؤثر على الرحمن شيئا ، بل آثر الرحمن على كل شىء . والايثار تقديم الغير على النفس وحظوظها الدنيوية ، رغبة فى الحظوظ الأخروية . وذلك ينشأ عن قوة اليقين ، وتوكيد المحبة ، والصبر على المشقة ، كذا فى تفسير الخطيب . وعليه : فإيثار العبد مولاه على كل شىء يرجع معناه إلى الإعراض عن السوى، والإقبال

على الله سبحانه وتعالى ، وإيثار رضاه ، والقيام بالأوامر مع اجتناب المنهيات ، والرضا بالقضاء ، والجد فى كل ما يقربه إلى الله ، والصدق والإخلاص مع التبرى من الحول والقوة، ويكون قصده فى جميع ذلك رضا مولاه ، الذى هو منتهى مقامات العارفين المعبر عنه بالمقام العاشر كما فى الكبريت الأحمر .

ومن لوازم إيثار العبد مولاه على كل شيء بالمعنى المذكور : التحلى والتخلى طلبا لمرضاته . ومتى آثر العبد مولاه آثره المولى ، لأنه سبحانه وتعالى يجازى من أطاعه أحسن الجزاء . ويرجع معنى إيثار المولى عبده إلى إثابته ، أو إرادة الثواب له ، فيكون صفة فعل أو صفة ذات .

واعلم أن إيثار الله لعبده بالمعنى المذكور ، سببه غالباً إيثار العبد لمولاه بالتقرب بالطاعة ، والموافقة فى جميع مراداته سبحانه وتعالى ، حتى يتحقق إعراض العبد عن السوى بكليته مقبلا بدوام الشهود ، كما يشير إلى ذلك حديث : « لا يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه » وذلك يفيد أن طاعته تعالى هى الطريق إلى الله سبحانه وتعالى ، وولايته ومحبته . قال سيدنا الناظم فى التائية الكبرى :

عبادٌ كرامٌ آثروا الله ربّهم فآثرهم واختصهم بالولاية

(قوله قابل التوب النصوح) أى الذى يقبل التوبة عن عباده

المذنبين ، قال تعالى : ﴿غافر الذنب وقابل التوب﴾ والتوبة النصوح هي الخالصة ، بأن تكون لله وحده ، لا لغرض من الأغراض ولو أخرويا ، فإن ذلك يؤثر فى كمال التوبة وإن لم يؤثر فى أصلها فينبغى للعبد أن لا يترك التوبة وإن لم تكن كامله . لعل الله يقبلها وعلامة التوبة النصوح : أن لا يبقى فى قلب التائب حلاوة ذلك الذنب التائب منه ، ولهذا كان سيدنا إبراهيم المتبولى قدس سره لا يحتلم مدة عمره ، وكان قد بلغ من العمر مائة سنة وسبعة أشهر وكان يقول من زعم أنه تاب من الزنى ثم احتلم بعد ذلك يدل على بقاء حلاوة تلك المعصية فى قلبه ، ولولا وجودها ما تفكر واحتلم وفى الحديث : « التوبة النصوح : الندم على الذنب حين يفرط منك فتستغفر الله ثم لا تعود إليه أبداً » . وأنشد البوصيرى .

ارتجى التوبة النصوح وفى القلـ ـب نفاق وفى اللسان رياء

قال شارحها الشهاب ابن حجر الهيثمى رحمه الله : أى أؤمل بحسن ظن عملا بقوله صلى الله عليه وسلم : « أنا عند ظن عبدى بى فلا يظن بى إلا خيراً » .

* * *

ثم قال سيدنا الحبيب عبد الله نفعنا الله به آمين :

﴿ إِلٰهٌ واحدٌ ملكٌ عظيمٌ تسبِّحهُ ملائكة الصفيح ﴾

(إله واحد) أى معبود واحد ، أى متفرد فى ذاته وصفاته وأفعاله ، فهو واحد فى ذاته فلا ينقسم ولا يتحيز - وفى صفاته فلا يشبه شيئاً ، ولا يشبهه شيء - وفى أفعاله فلا شريك له فيها (قوله ملك) أى من له الملك ، وهو المتصرف فى المخلوقات بالتدبير دون احتياج ولا حجر عليه مع العظمة والجلال (قوله عظيم) أى المستحقر بالنسبة إليه كل من سواه (قوله تسبحه ملائكة الصفيح) أى تسبحه ملائكة السماء ، قال تعالى فى محكم كتابه: ﴿فالذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون﴾ يعنى الملائكة كما فى التفاسير.

وهذا آخر ما لخصناه على هذه الأبيات ، والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات .

* * *

وليعلم الناظر فيما عنيت بجمعه : بأن الحامل على وضع هذا الشرح : التبرك بخدمة كلام الناظم ، رجاء أن يدخلنى الله فى كنف ولايته ، وينفعنى ببركته ، وتقييد ما استحضرته من معانى هذا النظم الوجيز المشتمل على المعنى العزيز ، الذى أودعه الصوفية فى مصنفاتهم ، وترغيب النفس فى اقتفاء الطريقة المرضية ، وتصفية الفؤاد والاجتهاد فى طلب الكمال ، وتحقيق الأحوال . ثم إنى أظهر حالى ، تبرءاً بلسانى وجنانى ، من الدعوى لئلا يغتر من وقف على ما جمعته هنا من كلام الأئمة ، فيظننى ممن ذاق شيئاً من أسرار الطريقة ، أو تخلق بأخلاق أهل الحقيقة . فمن ظن ذلك فى فقد رمى إلى غير مرمى ، ورأى السراب فحسبه

ماء ، لكني أسأل الله أن يبعدني من ذل المعصية ، ويحفظني منها ، ويرزقني العلم والعمل ، ويوفقني لما يرضاه ، ويخلصني من أسر النفس والشيطان ودواعيه ، ويطهر ظاهري وباطني بامتثال أوامره ونواهيه .

وكان الفراغ من تبييض هذه النسخة يوم السابع من جمادى الأولى سنة ١٣٢٠ هـ . تم ما أردت نقله والحمد لله ، وصلى الله على سيدنا محمد بن عبد الله ، وعلى آله وصحبه ومن والاه ، وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين ، والحمد لله رب العالمين .

* * *

تقـــــريظ

وقد قرظ هذا الشرح الإمام العارف بالله السيد أحمد بن حسن العطاس العلوي ، بقوله حينما قرئ عليه رضي الله عنه : « هذا الكلام لا برعم فيه ، متع الله بأحمد وكثر من أمثاله » .

* * *

ويليه للمؤلف

شرح صيغة صلاة للعارف بالله علي بن محمد الحبشي

صيغة صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم

للعلامة العارف بالله تعالى

علي بن محمد بن حسين الحبشي

رحمه الله

بشرح العلامة الفهامة

السيد أحمد بن أبي بكر بن سميط الحضرمي

رحمه الله

صيغة صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم :

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ اللهم صل وسلم باللسان الجامعة ، فى الحضرة الواسعة ، على عبدك الجامع للكمالات الإنسانية ، الواسع فى المشاهد الروحية ، عدد الحركات والسكنات ، والخطرات واللحظات . وعدد المصلين عليه ، وعدد صلواتهم ، وعدد الذاكرين له ، وعدد أذكارهم ، وعدد الذاكرين لله ، وعدد أذكارهم - صلاة يقر نورها فى أذنى فلا تعصى ، ويقر نورها فى عينى فلا تعصى ، ويقر نورها فى لسانى فلا يعصي ، ويقر نورها فى قلبي فلا يعصي ، ويقر نورها فى جسدى كله فلا يعصي . اللهم أوصلنى إلى حالة لا يعمل فيها قلبي بمخالفة ولا يهم بها ، ولا تقارف فيها جوارحى معصية . وبلغنى إلى مقام لا يفتر فيه قلبي عن طاعة لك ، مرضية لديك ، مقبولة عندك . ولا تنفك جوارحى فيه عن عمل صالح لوجهك ، مقبول لديك . يا أرحم الراحمين ﴾ .

شرحها :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله واجب الوجود . والصلاة والسلام على سيدنا محمد صاحب المقام المحمود ، وعلى آله أئمة الحضرات والشهود ، وأصحابه الموفين بالعهود (وبعد) - فالسيد الكامل ، التقى العامل والدنا العلامة « أبو بكر بن عبد الرحمن » من آل الشيخ أبى بكر بن سالم المعروف بمنصب الساكن ببلدة (لامو) من أرض السواحل - التمس منا إيضاح بعض معانى صيغة الصلوات على خير البرية ، التى هى من أنفاس العارف بالله ، مرشدنا ودليلنا إلى الله « على بن محمد بن حسين الحبشى » فأوردت له ما تراه هنا مختصرا بحسب الحال .

وليكن معلوما أن صيغ المشايخ من الصلوات على خير البرية ، وأحزابهم المتلقاة عنهم هى صفة أحوالهم ، ونكتة منازلهم ، وميراث علومهم وأعمالهم ، ممزوجة بأحوالهم ، مؤيدة بعلومهم ، مسددة بإلهامهم ، مصحوبة بكراماتهم . وقد قال العارف ابن عطاء الله : كل كلام يبرز وعليه كسوة القلب الذى منه برز[1] أو كما قال رضى الله عنه ودونك ما أشرنا إليه .

---

(١) هذا لفظه فى حكمه ؛ رضى الله عنه .

قوله رضى الله عنه ﴿باللسان الجامعة الخ﴾ يراد باللسان الجامعة: الصيغ الجامعة [1] للصلوات على خير البرية ، وهى أتمها وأعلاها وأجمعها لكل خير وأرفعها وقد اكتفى بهذا التعبير عن التفصيل الذى ذكره العارف الجزولى وغيره .

والمراد « بالحضرة الواسعة » : حضرة القدس ومحل القرب ، والمشاهدة والسماع للوحى . وأهل هذه الحضرة أعلى فى الجملة من الجن والإنس . والقصد [2] طلب الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم فى تلك الحضرة من بين أهلها صلاة تخصه من بينهم . أو على معنى أنه يصلى عليه معهم ، ومن جملة من يصلى عليه فى تلك الحضرة . أو على معنى حصول الصلاة من الله تعالى ، ومن كل جمع من أهل تلك الحضرة ، كما يشير إليه قوله تعالى : ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبى﴾ الآية ومعنى بالحضرة الواسعة حضرة الملائكة العلوية ، ومحلتهم السماء .

---

(١) يطلق اللسان على الكلمة والكلمات والصيغ التى ينطق بها ، وهو مؤنث . ولذا وصف بالجامعة .

(٢) يشير إلى أن المقصود من طلب حصول الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم فى تلك الحضرة تخصيصه من بين أهلها بصلاة خاصة تليق بمزيد فضله عليهم . أو أن يكون من جملة من يصلى الله عليهم فيها لشرفها . أو أن يصلى عليه كل جمع من أهلها مع الله تعالى لشرفهم ؛ فالملحوظ فى الأول مزيد شرفه صلى الله عليه وسلم ، وفى الثانى شرف تلك الحضرة . وفى الثالث شرف أهلها . تأمل .

(قوله على عبدك الجامع) الخ . ذكره صلى الله عليه وسلم بأشرف أسمائه الذى حضه المولى به فى المقامات العظام ، كقوله : ﴿ ولما قام عبد الله ﴾ و ﴿ سبحان الذى نزل الفرقان على عبده ﴾ ووصفه هنا سيدى العارف قدس سره بالجامع للكمالات الإنسانية ، إذ هو الجامع لما تفرق فى غيره من الكمالات والعلوم والمعارف ، والبركات والمعجزات . ودخل فى قوله (الجامع للكمالات) الخ ، ما حواه من الصفات الجمالية الظاهرية والباطنية التى لا تحصر ، وكفى قوله تعالى فى حقه عليه الصلاة والسلام : ﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ . وتفصيل ماله من المحامد لا يدرك ، بل لا يدرك حقيقته فى الدنيا أحد .

وكيف يدرِكُ فى الدنيا حقيقتَهَ قومٌ نيام تَسَلَّوْا عنه بالحُلُمُ

* * *

أيمدح من أثنى الإله بنفسه عليه فكيف المدح من بعد ينشاء

والذى يعتقده أهل الحق : أن فى هذا الرسول العظيم قد اجتمع من خصال الكمال وأوصاف الجلال ونعوت الجمال[1] مالم يجتمع فى غيره مما لم يشركه غيره إلا فى أسمائه .

كيف ترقى رقيَّك الأنبياء ياسماءً ما طاولتها سماء

---

(١) فى الأصل « الكمال » وما أثبتناه هو المناسب لما سبق . تأمل ،

(قوله الواسع فى المشاهد الروحية) المشاهد : جمع مشهد ، وهو ما تشاهده العيون مطلقاً . وحيث أضيفت إلى الأرواح فهى مشهودات خاصة لأهل الشهود ، تشاهدها القلوب بأعين البصائر . والتعبير عن هذا المقام يضيق لأمثالنا ، ويصعب على أفهامنا ، لكن الميسور لا يسقط بالمعسور ، وقد أمر بالسير كل أعرج ومكسور . وهذا الباب واسع الأطراف ، فى قوله (المشاهد الروحية) يريد بالمشهد محل الشهود ، أو محل الشهادة . ويرجع معنى كل إلى ماتشهده القلوب بعد تجردها عن الأغيار ، ولذا نسبها إلى الروح . ومما يوضح ذلك ويشير إلى هذا المشهد قول العارف بالله ، قطب الإرشاد الحداد فى بعض منظوماته :

مناظر للنواظر من قلوبٍ مطهرةٍ زكيَّاتٍ نقيَّـه
وأرواح تطير إلى علاها بأجنحة الغـرام المُقْعَدِيّه

وذكر هذه المشـاهد بلفظ الجمع ، لأنهـا باعتبار أربابها أقسام : إذ هى شهود أفعال ، وشهود أسماء وصفات للعارفين . وشهود الذات المنزهة عن الكيفية والمثال ، فكل قسم مشهد للعارفين . أما شهود الأسماء : فشهود مسماها قبل رؤية مظاهرها ، وهذا مقام العارفين ، وشهود المظاهر قبل شهود ما دلت عليه المظاهر ، وهو المولى مقام العلماء المستدلين بالآثار ، ولذا قيل : إن العارف يرى الله قبل الآثار ، ويستدل بالله على ثبوت الآثار .

والمحجوب يرى الآثار قبل شهود الله ، فيستدل بالآثار على الله[1] .
وهذه المشاهدات تتميز بحسب مقامات أربابها من الأنبياء والأولياء ، وشهود نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لا يساويه بشهود أحد ، وهذا معنى قول صاحب الأنفاس قدس سره ﴿ الواسع فى المشاهد . .) الخ . وكفى فيما خصه البارى سبحانه وتعالى ، وأشهده بعين البصر وعين البصيرة قوله جل وعلا : ﴿ ولقد رأى من آيات ربه الكبرى ﴾ ، قوله تعالى . ﴿ لنريه من آياتنا الكبرى ﴾ .

(قوله عدد الحركات) وما بعده من المعطوفات ، ظاهر المعنى . والمراد تكثير الصلوات .

(قوله يقر نورها فى أذنى . .) الخ يختلف معنى النور بحسب ما ينسب إليه ، فنور الأذن : كاشف للمسموعات . ونور البصر : كاشف للمبصرات ، ونور اللسان وسائر الجوارح : ما يبدو عليها من أعمال الطاعات .

---

(١) فى الحكم العطائية تسمية الفريق الأول بأرباب الجذب ، وهؤلاء يكشف الله لهم عن كمال ذاته ، ثم يردهم إلى شهود صفاته ، ثم يرجعهم إلى التعليق بأسمائه ، ثم يردهم إلى شهود آثاره ، وتسمية الفريق الثانى بالسالكين ، وهؤلاء على العكس ، يظهر لهم الآثار فيستدلون بها على الأسماء ، وبها على الصفات ، وبها على كمال الذات ، فنهاية السالكين : بداية المجذوبين . وبداية السالكين : نهاية المجذوبين . فتأمل وقوله المحجوب : فى الحكم : « الحق ليس بمحجوب ، وإنما المحجوب أنت عن النظر إليه ؛ إذ لو حجبه شيء لستره ما حجبه ، ولوكان له ساتر لكان لوجوده حاصر ، وكل حاصر لشيء فهو له قاهر ؛ وهو القاهر فوق عباده » اهـ .

(قوله اللهم أوصلني إلى حالة الخ) ، طلب نفع الله به من المولى أن يوصله إلى مقام الصديقين ، الذين تحققت فيهم الأحوال التي ذكرها ! وطلب ان يتحلى بها ، وهي عدم فتور القلب عن الطاعة ، وأن لا تنفك جوارحه عن الأعمال الصالحة ، ولا تقارف جوارحه معصية ، وهي حالات من غلب عليهم سلطان الحقيقة وصارت العبادات ذوقية لهم ، وسقطت عنهم التكاليف من هذه الحيثية . وقد اشتهر من كلام القوم : أن العبد قد يصل إلى مقام يسقط عنه التكليف . وخبط في هذا القاصرون الذين هم تحت أسر النفوس ، ففهموا من هذا خلاف المراد وهيهات ـ لا تسقط التكالف عن أحد وإن بلغ ما بلغ ! ولكن المراد : أن لا يحس بكلفة في أعماله ، لأنها صارت ذوقية . فانظر في الإحياء حكايات الخاشعين والعباد ، فما هي إلا عن هذا المجال . نعم ؟ قد تكون العبادات جارية من شخص جل أوقاته أو كلها وهو غير متلبس بالعبادات الظاهرة ، بأن تكون أعماله قلبية . وقد تكلم عليها المشايخ ، وعلى أفضليتها على أعمال الجوارح وفضل ذويها ، وهذا بحر لا ساحل ، ومورد لا أول له[1]. وربك الموفق ، وعليه

---

(١) لابد للمكلف شرعاً فيما بينه وبين ربه من الجمع في عبادته بين عملي القلب والجوارح ؛ قال سيدي على الخواص : ليس أحد من أولياء الله له عقل التكليف إلا وهو يصلي ويصوم ، ويقف على الحدود . ولكن هؤلاء لهم أماكن مخصوصة يصلون فيها من الأماكن المشرفة ، أو التي انكسر خاطرها بين البقاع بقلة عبادة ربها فيها ؛ فأرادوا جبر خاطرها وإكرامها بالصلاة فيها اهـ .

المعول ، وما توفيقى إلا بالله ، عليه توكلت وإليه أنيب .

تم الشرح بتوفيق الله تعالى

* * *

وتم تصحيح هذه الشروح ومقابلتها بأصولها المنقول عنها فيها حسبما تيسر بمعرفة أحد أفاضل علماء الأزهر . فى غرة رجب سنة ١٣٨١ هـ وأنفق على طبعها محب صالح تقى يرجو من الله تعالى التوبة والقبول ومن القارىء الدعاء له بالخير والمغفرة والستر الجميل أحسن الله إليه وجزاه الله خيراً .

ترجمـــــة

مؤلف هذه الرسائل ـ رحمه الله ـ

هو العلامة المحقق صاحب اليد الطولى فى علوم الإسلام . والمشهود له بالفضل من العلماء الأعلام شهاب الدين الشريف (أحمد بن أبى بكر بن عبد الله بن عبد الرحمن بن سميط) العلوى الحسينى الحضرمى الشافعى . ولد بجزيرة انجزيجة فى زنجبار لخمس خلت من رجب سنة ١٢٧٧ هـ ، وتلقى طرفاً صالحاً من العلوم على والده ، ورحل إلى حضرموت سنة ١٢٩٨ هـ كما أوصاه والده وأقام بشبام وتزوج بها وتردد إلى سيئون وتريم وأخذ بهما العلم عن كثيرين من العلماء الراسخين ثم عاد إلى زنجبار وتولى قضاءها سنة ١٣٠٠ هـ ثم تاق إلى السياحة فخرج فى سنة ١٣٠٣ هـ وزار الآستانة ومكث فيها سنة لقى فيها حفاوة كريمة من السلطان عبد الحميد رحمه الله ثم قصد إلى الحجاز ثم إلى جاوه والهند ثم عاد إلى زنجبار وولى بها القضاء ثم رجع إلى حضرموت سنة ١٣١٦ هـ فابتهجت بلادها بمقدمه وزار بحريضة القطب أحمد بن حسن العطاس ، وبعد أن طاف أكثر البلاد عاد إلى زنجبار واشتغل فيها

بالإفتاء والقضاء والتدريس والتأليف ومن مؤلفاته هذه الرسائل الثلاث ورسالة الابتهاج فى بيان اصطلاح المنهاج وحاشية على فتح الجواد وأخرى لم تكمل على النصائح الدينية للإمام الحداد .

وتوفى رحمه الله فى الثالث عشر من شوال سنة ١٣٤٣ هـ . اهـ ملخصاً من ترجمته بقلم نجله الفاضل السيد عمر التى ذيل بها رسالة الابتهاج وطبعت بمصر للمرة الثانية فى رجب سنة ١٣٨٠ هـ (يناير سنة ١٩٦١ م) .

بيد كاتبه

حسنين محمد مخلوف

مفتى الديار المصرية السابق وعضو جماعة كبار العلماء